روايات الهلال

راقصة الملهى

جورج سيمنون

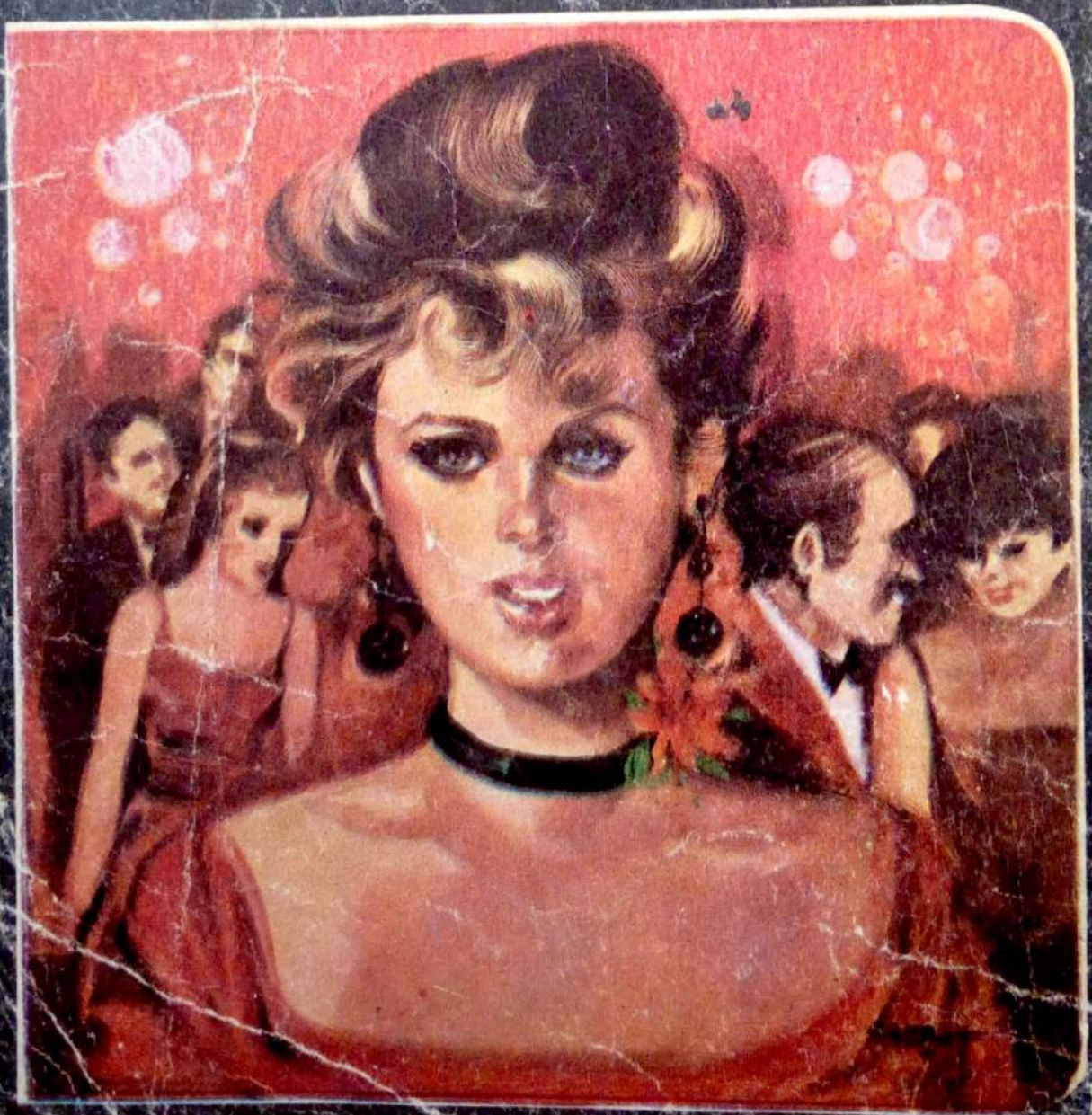

روايات الهلال

Rewayat Al - Hilal

تصدر عن مؤسسة « دار الهلال

العدد ٣٧٦ - ابريل ١٩٨٠ - جمادى الاولى ١٤٠٠
No. 376 — Avril 1980

رئيسة مجلس الإدارة : **أمينة السعيد**

نائب رئيس مجلس الإدارة : **صبرى أبو المجد**

رئيس التحرير : **الدكتور حسين مؤنس**

سكرتير التحرير : **موسى عيد**

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى - ١٢ عددا - فى جمهورية مصر العربية جنيهان مصريان بالبريد العادى . وبلاد الحادى البريد العربى والافريقى وباكستان ثلاثة ونصف جنيه مصرى بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم سبعة دولارات بالبريد العادى وخمسة عشر دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج. م. ع. بحوالة بريدية غير حكومية وباقى بلاد العالم بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

اسعار البيع للجمهور فى البلاد العربية للاعداد العادية من «روايات الهلال» الشهرية اعتبارا من شهر يناير عام ١٩٧٩ :

بسعر ٢٠ قرشا للقارىء فى مصر

سوريا ٣٠٠ ق . س « ثلاثمائة قرشا سوريا »
لبنان ٢٥٠ ق.ل «مائتان وخمسون قرشا لبنانيا »
الاردن ٢٥٠ فلسا « مائتان وخمسون فلسا اردنيا »
الكويت ٢٥٠ فلسا «مائتان وخمسون فلسا كويتيا »
العراق ٤٠٠ فلس « اربعمائة فلسا عراقيا »
السعودية ٤ر٥ ريال « اربعة ريالات ونصف ريال »

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

قصة الملاعي

بقلم

جورج سيمنون

ترجمة

محمد عبد المنعم جلال

دار الهلال

مقدمة

ولد جورج سيمنون فى مدينة لييج ببلجيكا فى ١٣ فبراير سنة ١٩٠٣ عن اب بلجيكى وام انجليزية . وبدأ الكتابة وهو فى السابعة عشرة وعمل محررا فى جريدة جازيت دى لييج . ومات ابوه قبل ان يبلغ العشرين فانتقل الى باريس ونشر رواياته الأولى بأسماء مستعارة مختلفة منها كريستيان برولز وجورج ريلى وجان دى بيرى وجورج سيم وغيرها . وكانت كلها روايات شعبية استعان بها على العيش قبل أن تعرف الشهرة سبيلها اليه ، وكان فى اثناء ذلك يزور ادارة الأمن العام الفرنسية بصفة مستمرة ويختلف الى جميع اقسامها واجهزتها ويدرس كل صغيرة وكبيرة ليعرف كيف تسير الأمور فيها وكانت شخصية القوميسير ميجريه تدور برأسه حينذاك .

ولما نضجت الفكرة فى ذهنه بدأ بكتابة اول رواية من سلسلة روايات ميجريه بعنوان « مصرع مسيو جاليه » ونشرتها له دار فايار للنشر فى سنة ١٩٣٠ باسمه الحقيقى ، ولقيت الرواية نجاحا كبيرا على الفور وترجمت الى عدة لغات وراح ينشر بعد ذلك رواية جديدة كل شهر حتى بلغت روايات ميجريه اربعين رواية .

وتعاقدت معه بعد ذلك دار بريس دى لاسيتيه على نشر رواياته ، ونشرت له نحو ستين رواية اخرى لميجريه ترجمت كلها الى اغلب لغات العالم .

وجورج سيمنون كاتب مبدع خلاق لم يطرق الرواية البوليسية فحسب وانما عالج جميع انواع الادب فكتب الرواية الغرامية والفلسفية والتحليلية الى جانب روايات المغامرات والاثارة .

وقد انتقل الى امريكا عقب هجوم المانيا على فرنسا فى الحرب العالمية الثانية وعاش فيها كما يعيش البدو فقد اشترى سيارة وضع

فيها كل متاعه واخذ يتنقل فى كل مكان فى امريكا تقريبا . وعندما كان يروق له مكان يقضى فيه بعضا من الوقت ، واقام بهذه الطريقة فى مونتريال ونيويورك وبرادن تادن وفلوريدا واريزونا ، وكلما توقف به المطاف فى مكان ما كان يكتب ويكتب . ولم يحزنه فى ذلك الوقت الا شيء واحد هو انه لم يكن يجد فى امريكا ناشرا واحدا لكى ينشر كتبه . وقد عاد الى فرنسا بعد ذلك بحصيلة كبيرة منها وقد كتب حتى الآن اكثر من ثلاثمائة وخمسين رواية منها مائة لميجريه وحده .

وقد اخرجت السينما الأمريكية العديد من افلامه ، اقتبستها من رواياته منها « الأخوة ريكو وقاع الزجاجة ورجل برج ايفل » وهذه الأخيرة من روايات ميجريه وقد قام بدور القوميسير ميجريه فيها الممثل الأمريكى الراحل شارلز لوتون .

وقد تزوج سيمنون مرتين ماتت زوجته الأولى وانفصل عن الثانية ورفعت هذه الأخيرة قضية تطالبه بنفقة كبيرة ظلت المحاكم تنظرها مدة طويلة وفصلت فيها اخيرا لصالحه . وهو يعيش الآن مع امراة ايطالية تدعى تيريزا تعرف بها فى احدى دور النشر الايطالية وتصغره بثلاثة وعشرين عاما فهى الآن فى الثالثة والخمسين من عمرها .

وقد انجب ستة اولاد منهم اربعة ذكور .

الفصل الأول

أديل وأصدقاؤها

– من هذا ؟ .

أجابت اديل وهى تنفث دخان سيجارتها :

– لا ادرى ... هذه اول مرة يأتى فيها .

وفصلت ساقيها الواحدة عن الأخرى ، فى بطء وتراخ . وسوت شعرها فوق صدغيها ، ونظرت الى احدى المرايا التى تكسو جدران القاعة لكى تطمئن الى ان ماكياجها لم ينله اى سوء .

كانت تجلس فوق مقعد صغير من القطيفة الحمراء ، امام منضدة عليها ثلاثة كئوس من النبيذ ، وقد جلس على يسارها شاب ، وعلى يمينها شاب آخر .

– أرجو المعذرة أيها الصديقان الصغيران .

وابتسمت لهما ابتسامة رقيقة ، ونهضت . وعبرت القاعة وهى تهز ردفيها لكى تقترب من مائدة الوافد الجديد .

وباشارة من صاحب الكباريه ، راح الموسيقيون يعزفون ويصاحبون آلاتهم بأصواتهم ، فى حين اخذ الراقص المحترف يراقص امراة تنتمى هى الأخرى الى الكباريه .

كان هناك جو من الفراغ ، كما هى العادة كل ليلة تقريبا ، فقد كانت القاعة كبيرة جدا والمرايا التى تكسو الجدران تزيد من حجمها بمقاعدها الحمراء ومناضدها الرخامية المصفرة .

واقترب كل من الشابين من الآخر ، بعد ان غادرتهما اديل ، وقال اصغرهما ، ويدعى جان شابو ، وهو يتظاهر بالنظر الى القاعة من بين اهدابه النصف مطبقة فى غموض :

– انها فاتنة .

أجابه صديقه دلفوس وهو يتكىء بيده على عصا لها مقبض من الذهب :

– وجميلة جدا .

وكان شابو قد بلغ السادسة عشرة والنصف من عمره ، اما دلفوس فكان أكثر منه نحافة ، وكان معتل الصحة ، غير متناسق القسمات ، ولم يكن عمره يزيد عن الثامنة عشرة . ومع ذلك فما كان لأى منهما الا أن يحتج ساخطا لو قيل له انه لم يعرك الحياة بعد ولم يتذوق كل ملذاتها .

– اسمع يا فيكتور .

بهذا نادى شابو الساقى وهو يمر بهما ، بدون اية لكنة ، واردف يقول :

– هل تعرف ذلك الرجل الذى اقبل الآن ؟ .

– كلا . ولكنه طلب شمبانيا .

ثم غمز بعينيه وقال :

– واديل تهتم به .

وابتعد ، حاملا الصينية فى يده . وسكتت الموسيقى لحظة لكى تعود من جديد ، فى صخب أكثر ، فى حين كان صاحب الكباريه ينزع بنفسه السدادة عن زجاجة الشمبانيا التى أحاط رقبتها بمنشفة .

وقال شابو يسأل فى همس :

– هل تعتقد انهم سيغلقون الكباريه فى وقت متاخر ؟ .

– بل سيغلقونه فى الساعة الثانية ... او الثانية والنصف كالمعتاد .

– هل نطلب شيئا آخر ؟ .

كانا منفعلين ، ولا سيما الفتى الأصغر سنا ، الذى راح ينقل البصر بين جميع الموجودين فى القاعة .

– كم يمكن ان نجد فيها ؟ .

ولكن دلفوس هز كتفيه وقال فى فروغ صبر :

ـ اسكت .

ورايا أديل ، أمامهما تقريبا ، جالسة الى مائدة الزبون الجديد الذى طلب الشمبانيا . كان رجـــلا فى الأربعين من عمره ، أســود الشعر ، شاحب الوجه ، يرتدى قميصا من الحرير وردى اللون ، ويشبك فى ربطة عنقه ماسة كبيرة متألقة .

ولم يبد الرجل أى اهتمام بالراقصة التى راحت تحادثه ضاحكة وقد مالت فوق كتفه . وعندما طلبت منه سيجارة ناولها علبة من الذهب واستمر ينظر أمامه .

وخيم الصمت على دلفوس وشابو فلم ينطق أحدهمـــا بكلمة . وتظاهر كل منهما بالنظر الى الرجل الغريب فى ازدراء ، ومع ذلك فقد كانا معجبين به كل الاعجاب ، لم ينقدا أية نقطة ، وراحا يدرسان طريقته فى عقد ربطة عنقه ، وأناقة بدلته ، وحتى طريقته فى احتساء الشمبانيا لم تفلت منهما .

كان شابو يرتدى بذلة جاهزة ، وحذاء جدد نعله مرتين . أما ثياب صديقه ، وكانت من نوع جيد ، فلم تكن تناسبه . والواقع ان دلفوس كان ضيق الكتفين ، أجوف الصدر ، له سحنة شاب مرهق لم تكتمل رجولته بعد .

ـ زبون آخر ! .

ذلك ان الستارة القطيفة التى أمام المدخل أزيحت قليلا وظهر من خلفها رجل أعطى قبعته المستديرة المنتفخة لحارس الـكباريه الذى يقف بالمدخل ، ثم وقف لحظة جامدا يدور بعينيه فى أرجاء القاعة . كان طويل القامة ، ضخم الجسم ، يبدو عليه الهدوء . ولم يصغ الى الساقى الذى أشار له الى مائدة بالذات ومضى فجلس حيث اتفق .

ـ كاس من الجعة .

ـ ليس لدينا غير جعة انجليزية « ستاوت » .

هز الرجل كتفيه بما يعنى ان هذا الأمر لا يهم .

ولم يحدث بالبار اى تغيير عن ذى قبل ، فقد راح الراقصان يرقصان والموسيقيون يعزفون ويغنون فى وقت واحد ، فى حين وقف امام البار زبون انيق راح يلعب البوكر مع صاحب البار .

واديل وزميلها الذى ما زال لا يعيرها اى اهتمام .

وكان الجو السائد هو الجو المألوف فى اى كباريه عادى فى اية مدينة صغيرة . وفى لحظة ما رفع ثلاثة رجال سكارى الستار ، واسرع صاحب البار اليهم . وبذل الموسيقيون اقصى جهدهم ، ولكن لم يلبث الرجال الثلاثة ان انصرفوا ، وسمعهم الآخرون وهم يبتعدون ضاحكين .

وكان شابو ودلفوس يزدادان اضطرابا كلما تقدم بهما الوقت . كان يخيل لمن يراهما أن التعب قد وسم ملامحهما وكسا بشرتيهما الداكنة بصبغة بشعة ، ورسم خدودا بحاجبيهما .

وعاد شابو يسأل صديقه فى صوت هامس :

— قل لى ... كم يمكن ان يكون فيها ؟ .

ولم يجبه دلفوس ، وانما راح ينقر بأصابعه فوق رخام المائدة .

واستندت اديل على كتف الرجل الأجنبى وراحت تغمز لصديقيها من وقت لآخر دون ان تفقد شيئا من رقتها ومرحها .

— فيكتور ! .

— هل تنصرفان هكذا سريعا ؟ ... أانتما على موعد ؟ .

وكانت اديل كلما ازدادت رقة ازداد الآخر غموضا واثارة .

— سنسدد الحساب غدا مع الباقى يا فيكتور ... ليس معنا فكة الآن .

ولم يكن الشابان ثملين ، ومع ذلك فقد خرجا من الكباريه كما لو كانا يعيشان كابوسا ، دون أن يريا اى شىء .

كان لكباريه « الجيه مولان » مدخلان ... المدخل العمومى ، ويقع فى شارع « بودور » ومنه يدخل الزبائن ويخرجون . ولكن اذا ما تجاوزت الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، واضطر الكباريه

الى غلق الباب تطبيقا لتعليمات البوليس يفتح باب صغير خلفى يقع فى زقاق مقفر خافت الضوء .

واجتاز شابو ودلفوس القاعة ، ومرا امام مائدة الأجنبى ، وردا على تحية صاحب الملهى ، ثم دفعا باب دورة المياه . وهناك توقفا بضع لحظات دون أن ينظر أحدهما الى الآخر .

وتمتم شابو يقول :

ـ انا خائف .

ورأى نفسه فى مرآة بيضاوية ، وتناهت أصوات الجاز الى اذنيهما ، وقال دلفوس وهو يفتح بابا كشف عن درج مظلم ينبعث منه هواء رطب .

ـ اسرع .

كان هذا هو القبو ، وكانت درجات السلم من الطوب ، وتصاعدت الى انفيهما ، من تحت ، رائحة النبيذ والجعة .

ـ واذا جاء أحد ؟ .

وأوشك شابو أن يقع لأن الباب ارتد ومنع عنهما النور مرة واحدة . وتحسست يداه الجدران المكسوة بالورق ، واحس بشخص يلمسه فارتجف ، ولكن لم يكن ذلك الشخص غير صديقه ، وقال هذا الأخير فى لهجة آمرة :

ـ لا تتحرك .

ولم يعد اى منهما يسمع الموسيقى فى وضوح ، وانما راحا يخمنانها . كانا يسمعان صوت الطبلة الكبيرة ، وكانت عبارة عن ايقاع يجلب من بعيد الى ذهنيهما صورة القاعة الكبيرة بمقاعدها المخملية الحمراء وكئوسها المتصادمة والمراة ذات الثوب الوردى التى ترقص مع الراقص المحترف الذى يرتدى الاسموكنج .

كان الطقس باردا ، واحس شابو بالرطوبة تتوغل فى كيانه ، وغالب نفسه حتى لا يعطس ، ومر بيده على قفاه المثلج ، وسمع تنفس دلفوس . كان كل نفس من صديقه يأتيه برائحة التبغ .

ودخل بعضهم دورة المياه ، وفتح صنبور الماء ، وسقطت قطعة من النقود فى طبق .

وكانت الساعة التى فى جيب دلفوس ترسل دقات منتظمة .

ـ هل تظن اننا سنستطيع ان نفتح ؟ .

قرصه الآخر فى ذراعه يأمره بالسكوت . وكانت أصابعه باردة .

وفوق ، فى القاعة ، بدأ صاحب البار ينظر الى الساعة فى فروغ صبر ... عندما كان الملهى يفص بالرواد ويعج بالحركة لم يكن يضيره ان يتجاوز موعد الغلق المحدد وان يواجه ثورة رجال الشرطة ، ولكن حين يكون الملهى مقفرا تقريبا كان يحترم فجأة القوانين والتعليمات .

ـ سنغلق الأبواب الآن أيها السادة ... الساعة الآن الثانية .

ولم يسمعه الشابان ، وهما فى مخبئهما ، فى القبو . ولكن كان فى مقدور كل منهما ان يحدس كل ما يدور دقيقة بدقيقة ، فان فيكتور يجمع حساب الرواد ثم يسرع الى البار ليصفى حسابه مع صاحب الملهى ، فى حين يجمع الموسيقيون آلاتهم ويضعون كلا منها فى علبتها الخاصة ثم يغطون الطبلة الكبيرة بغطاء من الحرير الأخضر .

أما جوزيف ، وهو الساقى الثانى ، فكان يرفع المقاعد ويضعها فوق الموائد ثم يجمع منافض السجائر .

ـ حانت ساعة الغلق أيها السادة ... هيا يا اديل ، اسرعى .

وكان صاحب الملهى ايطالى الجنسية ، قوى الجسم ، سبق ان خدم فى بلاد أخرى وفنادق فى كان ونيس وبيارتيز وباريس .

رفع قدام فى دورة المياه ... انه هو ، وقد جاء لكى يضع المزلاج خلف الباب الخلفى الذى يؤدى الى الباب الصغير ، ويدير المفتاح ولكنه يتركه فى القفل .

هل تراه يغلق باب القبو بحركة تلقائية ؟ ... ام يفتحه لكى يلقى نظرة ؟ ... انه يقف لحظة ، ولا ريب انه كان يسوى مفرق شعره أمام المرآة ، ويسعل لحظة ثم يخرج من دورة المياه .

سوف ينتهى كل شيء بعد خمس دقائق ، وسيكون الايطالى آخر من يغادر البار فيغلق الأبواب الامامية ثم يغلق المدخل الاخير .

والمعروف انه لا يفرغ درج النقود مما فيه من نقود ، ولا يضع فى جيبه الا الأوراق التى من فئة الألف فرنك . اما الباقى فيتركه فى الدرج ، وهو درج له قفل غير متين فى مقدور اى شخص ان يفتحه بواسطة مطواة عادية .

واطفئت جميع الانوار .

تمتم دلفوس يقول :

ـ هلم بنا الآن .

ـ مهلا ... انتظر لحظة .

اصبحا الآن وحدهما فى الملهى ومع ذلك فقد استمرا يتكلمان فى صوت خافت . وكان كل منهما لا يرى الآخر . واحس كل منهما بانه ممتقع ، متوتر الوجه ... جاف الشفتين .

ـ ربما بقى بعضهم فوق .

ـ وهل تملكنى الخوف عندما اغتصبت خزانة أبى .

كان دلفوس هو الذى تكلم ، وكان صوته خشنا يكاد ينطق بالتهديد والوعيد .

ـ قد لا نجد شيئا فى الدرج .

كان شابو يحس بان الدنيا تدور به ، وانه مريض لفرط ما شرب . والآن وقد اصبح فى القبو فانه لم يعد يشعر بالشجاعة لمغادرته . وكان خليقا بان ينهار فوق الدرج أو ان يجهش بالبكاء .

ـ تقدم .

ـ انتظر ... ربما يعود ادراجه .

ومرت خمس دقائق اخرى ، لان شابو كان يحاول بكل الطرق ان يكسب بعض الوقت ، وانحنى لكى يربط رباط حذائه ، وقد ربطه دون ان يتمكن من رؤية اى شيء لانه خشى ان يقع وان يتسبب فى احداث جلبة .

ـ كنت اظنك اقل جبنا ... هلم بنا ... تقدم .

ذلك لأن دلفوس لم يشأ ان يكون اول من يخرج ، فدفع زميله بدورة المياه بيدين مضطربتين . وانفتح باب القبو ، وكان صنبور الماء مفتوحا بدورة المياه وتنبعث منها رائحة الصابون والمطهر .

وكان شابو يعرف ان الباب الذى يؤدى الى القاعة سوف يصر ، وكان يتوقع هذا الصرير ، ولكنه مع ذلك تجمد من الخوف .

وبدت القاعة الآن ، فى الظلام ، كبيرة كقاعة الكنيسة ، واحس حوله بفراغ كبير ، وكانت نفحات من الحرارة لا تزال تنبعث من اجهزة التكييف .

وهمس شابو يقول :

ـ اشعل عودا من الثقاب .

واشعل دلفوس عودا . ووقفا لحظة لكى يستردا انفاسهما ويقيسا المسافة التى يجب ان يعبراها . وفجأة وقع عود الثقاب فى حين اطلق دلفوس صيحة حادة واندفع نحو باب دورة المياه . ولكنه لم يهتد اليه فى الظلام ، فعاد ادراجه واصطدم بشابو .

ـ أسرع ، لنخرج حالا .

وكانت كلماته اشبه بدوىٍ مبحوح .

وكان شابو قد راى هو الآخر شيئا ، ولكنه لم يتبينه جيدا .. شيئا اشبه بجسد ممدد فوق الأرض بجوار البار ... وشعر اسود .

ولم يجرؤ اى منهما على الحراك ، ووقعت علبة الثقاب على الارض ، ولكنهما لم يستطيعا رؤيتها .

ـ اشعل عودا ...

ـ لقد وقعت العلبة منى .

واصطدم احدهما بمقعد وسأل الآخر :

ـ اهو انت ؟ .

ـ من هنا ... الباب .

وكانت قطرات الماء لا تزال تتساقط من الصنبور ، واحسا بشيء من الهدوء ، فقد كانت دورة المياه المرحلة الأولى نحو النجاة .

ـ هل نضيء النور ؟ .

ـ أانت مجنون ؟ .

وتتحسس أيديهما ويجدان المزلاج .

ـ ان من الصعب فتحه .

وقع أقدام فى الشارع فيتجمدان مكانهما وينتظران .. ويسمعان كلمات متقطعة .. أما أنا فأعتقد ان انجلترا اذا لم ...

وتبتعد الأصوات ... ولعلهم بعض الشرطة يتحدثون فى السياسة .

ـ هل فتحت .

ولكن لم يكن باستطاعة دلفوس أن يأتى بأية حركة ، فقد اعتمد على الباب ، وأمسك صدره اللاهث بيديه الاثنتين وتمتم :

ـ كان فمه فاغرا ...

ودار المفتاح ، وتنفسا الهواء الطلق ، وطالعتهما انوار الفوانيس على أرض الزقاق ، واحس كل منهما بالرغبة فى الجرى ، ولم يفكرا حتى فى غلق الباب خلفهما .

ولكن ، هناك فى المنحنى ، شارع بون دافروى الذى يعج بالحركة . ولا ينظر اى منهما الى الآخر ، ويخيل لشابو ان جسده أصبح فارغا وأنه يقوم بحركات رخوة فى عالم من القطن ، والأصوات نفسها كانت تأتى من بعيد جدا .

ـ هل تظن انه ميت ؟ .. هل هو التركى ؟ .

ـ انه هو .. اننى عرفته .. كان فمه فاغرا .. وعيناه ..

ـ ماذا تعنى ؟ .

ـ كانت احدى عينيه مفتوحة على سعتها والاخرى مقفلة ...

واردف يقول فى حنق :

ـ اننى ظمآن .

هما الآن فى شارع بون دافروى ، وكل المقاهى مغلقة ، ولكن كان لا يزال هناك محل مفتوح يقـــــدم الجعة والسمك والرنجة والبطاطس المحمرة .

ـ هل نمضى اليه ؟ .

وكان الطـاهى فى ثيابه البيضاء منهمكا فى عمله امام موائد ، وامراة فى ركن من المحـل تأكل وتنظر الى الشابين فى ابتسامة مشجعة .

ـ جعة وبطاطس وبعض من بلح البحر .

وبعد أن جرع كل منهما قدحه طلبـــا قدحين آخرين . وكانا جائعين ، وكان جوعهمـا غريبا ، وطلبـــا قدحين من الجعة للمرة الرابعة .

وكان كل منهما يحرص على ان لا ينظر الى الآخر ، وراحا يأكلان فى شراهة ونهم . وفى الخارج ، كان الظـلام سائدا والمارة قلائل يمشون سراعا ...

ـ كم الحساب ؟ .

وتملكهما خوف جديد . هل يملكان ما يكفى من نقـــود لدفع الحساب ؟ وجمعا ما معهما فاذا به يزيد عن المطلوب فرنكا واحدا نقداه للجرسون حلوانا .

وكانت الشوارع تكاد تكون مظلمة ، والمحلات مغلقة ، ولم يكن هناك غير فوانيس النور المتباعدة ، ومن بعيد داورية من الشرطة .

وعبر الشابان الجسر فوق نهر الوز ، ولم ينطق دلفوس بكلمة ، وراح ينظر امامه مليا ، شارد الذهن ، بعيدا عن حقائق اللحظة ، بحيث لم يدرك ان صديقه يحدثه .

ولـكى لا يبقى شابو بمفرده ، ولـكى يظل برفقته المطمئنة ، يمضى معه حتى قصر منيف فى أجمل شارع بالحى ، ويقول له اخيرا :

ـ عد معى بعضا من الطريق .

ـ كلا . اننى مريض .

وهذه هى الحقيقة ، فهما مريضان ، هما معا ... على الرغم من أن شابو لم يلمح الجثة الا لحظة خاطفة ، فان خياله ظل يعمل وقال يسأل :

ـ كان هو التركى ؟ ... اليس كذلك ؟ .

نعتاه بالتركى لأنهما لم يعرفا جنسيته . ولم يجب دلفوس ، بل دس المفتاح فى قفل الباب ، ويظهر فى العتمة بهو كبير به علاقة نحاسية للمظلات .

ـ الى الغد ...

ـ فى مقهى البليكان ؟ .

ولـكن الباب كان قد تحرك وانقفل . واصابه الآن دوار ... لو يكون فى بيته وفى فراشه ! .. هل تنتهى هذه القصة عندئذ ؟ .

ها هو الآن ، قد أصبح بمفرده فى الحى المقفر . وراح يمشى سريعا ثم يدو ويعود فيتردد فى آخر الشارع ثم يندفع من جديد كالمجنون .. وفى ميدان الكونجريه يهرب من الاشجار ويبطىء فى سيره لأنه يرى عابرا عن بعد ، ولـكن الرجل الغريب ينعطف الى شارع آخر .

شارع لالوا ، وبيوت من طابق واحد . ويقف أمام احداها .

ويبحث جان شابو عن مفتاحه فى جيبه ، ويفتح الباب ويدير مفتاح النور ، ويمضى الى المطبخ ، وله باب من زجاج ، ما زال النور مضاء فيه .

ولـكنه يتعين عليه أن يعـــود أعقابه لأنه نسى أن يغلق الباب العمومى ، والجو حار . وهناك سلة فوق القماش الأبيض اللامع الذى يغطى المائدة ، وقصاصة من الورق عليها بضع كلمات بالقلم الرصاص :

« هناك شريحة من اللحم فى البوفيه وقطعة من التورتة فى الدولاب .

طابت ليلتك ، ابوك » .

وبنظر جان شابو الى كل ذلك فى غباء ، ويرى شريحة اللحم . وما ان تقع عليها عيناه حتى يشعر بالغثيان ، ويرى فوق الدولاب فازة صغيرة بها زهور خضراء يفهم منها ان خالته ماريا تيريزا زارتهم اليوم ، لانها عندما تاتى لزيارتهم عادة تاتى معها بهذه الزهور دائما لانها تزرعها فى حديقة بيتها بسان ليونار .

اطفأ جان النور وصعد الدرج بعد ان خلع حذاءه ومضى الى الطابق الاول ، ومر امام غرف النزلاء .

اما الطابق الثانى فهو عبارة عن غرف منخفضة تسرى اليها البرودة من السطح .

وفى اللحظة التى يبلغ فيها البسطة يسمع صرير فراش يفهم منه ان بعضهم قد استيقظ ... اما ابوه او امه ... ويمضى الى الباب ويفتحه .

ولكن صوتا مكتوما ياتيه من بعيد :

ـ اهذا انت يا جان ؟ .

آه .. لابد له الآن من ان يلقى الى والديه تحية المساء وان يدخل غرفتهما . والجو فيها رطب . كانا قد اويا الى فراشـــــهما منذ ساعات .

ـ ان الوقت متاخر ، اليس كذلك ؟ .

ـ ليس متاخرا جدا .

ـ كان يجب ان ...

كلا ! .. لم يجد ابوه الجراة لكى يعنفه ، او لعله ادرك ان لا فائدة من ذلك .

ـ طابت ليلتك يا بنى .

وانحنى جان ، وطبع قبلة على جبين والـده ، فقال له هـذا الاخير :

ـ انت مثلج ... هل ...

ـ ان الجو بارد فى الخارج .

ـ هل رايت شريحة اللحم ؟ .. ان خالتك ماريا هى التى جاءت بالتورتة .

ـ اكلت مع اصدقاء لى .

وتلتفت امه وهى نائمة ، ويتهدل شعرها فوق الوسادة .

ـ طابت ليلتك .

وكان هذا فوق ما يحتمله . وفى غرفته لم يفكر حتى فى اضاءة النور ، ويلقى بسترته كما يتفق ويتمدد فى فراشه ، ويغوص برأسه فى الوسادة .

وهو لا يبكى ، فلن يستطيع ذلك حتى اذا اراد . ويحاول ان يتنفس ، وترتعش كل اطرافه ، وتسرى القشعريرة فى كل جسده كما لو كان مقبلا على مرض خطير .

وكان يود الا يصدر من فراشه اى صرير ، وان يتغلب على «الزغطة» التى احس بانها توشك ان تحتل حلقه لانه ضمن ان اباه الذى قلما ينام ، راقد فى الغرفة التى بجواره وانه يرهف السمع .

وتكبر صورة فى راسه ، وترن كلمة وتتضخم وتأخذ احجاما فظيعة بحيث تكاد تحطمه ... صورة التركى .

وتزداد الصورة وضوحا ، وتثقل عليه ، وتكاد تخنق انفاسه وتضيق عليه فى كل مكان ، ويستمر ذلك حتى تتسلل من النافذة اشعة شمس الصباح ، فى حين يقف ابوه بجوار فراشه ويتمتم فى خوف من ان يقسو عليه اكثر من اللازم :

ما كان يجب ان تفعل ذلك يا بنى ، لانك شربت مرة اخرى ، اليس كذلك ؟ .. بل انك حتى لم تخلع ثيابك .

وتتصاعد من الطابق الأرضى رائحة القهوة والبيض المقلى ، وتنطلق السيارات فى الشارع وتصطفق الأبواب ويرتفع صوت ديك .

الفصل الثانى

الخزانة الصغيرة

القى جان شابو مرفقيه على المائدة ونحى طبقه عنه وراح ينظر الى الفناء الذى يبدو من خلال ستار النافذة الشفاف والذى يتالق بياضه الأبيض باشعة الشمس .

وكان ابوه يراقبه خلسة وهو ياكل ، فحاول ان يخلق نوعا من الحديث .

ـ هل تعرف اذا كان ما يقـال صحيح من انهم يعرضون عمارة شارع فيرونستريه للبيع ؟ .. لقد سالنى بعضهم هذا بالأمس ، ولعله ينبغى أن تستعلم .

ولكن مدام شابو ، وكانت تراقب ابنها هى الاخرى دون ان تكف عن اعداد الخضر للحساء قالت :

ـ ولـكنك لا تاكل .

ـ اننى لست جائعا يا اماه .

ـ أراهن انك كنت ثملا ليلة الأمس ايضا ، اليس كذلك ؟ .

ـ كلا .

ـ هل تعتقد ان هذا الأمر غير ظاهر . ان عينيك حمراوان جدا ، وبشرتك كامدة . اننا نبذل المستحيل لكى تزداد قوة . كلا ... كل البيض على الاقل .

وما كان جان ليستطيع ان ياكل ولو اعطى ثروة نظير ذلك . فقد كان ضيق الصدر ، وجو البيت الهـادىء ورائحة الدسم والقهوة والجدار الأبيض والحساء الذى بدا ينضج ، كل ذلك كان يصيبه بشىء من الغثيان .

كان يتلهف على الخروج ويتلهف لمعـــــرفة ما جرى على وجه الخصوص ، وكان يرتجف عند اقل حركة .

ـ يجب ان اخرج .

ـ ولكن الوقت لا يزال مبكرا جدا . انك كنت مع دلفوس مساء امس ، أليس كذلك ؟ .. ولكن ويحه اذا اقبل لكى يجرك معه من جديد ... انه فتى عاطل لا يفعل شيئا لان ابويه ثريان ... فتى فاسد ليست به اية حاجة لكى ينهض فى الصباح ليذهب الى عمله مثلك .

اما مسيو شابو فلم يقـل شيئا . كان ياكل وهو ينظر الى طبقه لكى لا يتحزب لابنه ، وهبط نزيل بالطابق الأول ، طالب بولندى ، خرج الى الشارع راسا ومضى الى الجامعة . وتناهى الى الاسماع صوت ساكن آخر يرتدى ثيابه فوق المطبخ بالذات .

ـ سوف ترى يا جان أن الأمر سينتهى بك نهاية سيئة . سل اباك هل كان يلهو ويعربد مثلك فى شبابه .

والحق انه كانت هناك خطوط جد حمراء حول عينى جان شابو ، وكانت ملامحه مشدودة ووجهه شاحبا ، وبدا فى جبينه خط صغير ارجوانى اللون .

وعاد يقول وهو ينظر الى الساعة :

ـ انا خارج .

وفى هذه اللحظة بالذات دوى فى الخارج صوت طرق معدنى على صندوق الخطابات المعلق بالباب الخارجى ، وكانت هذه هى الطريقة التى يستخدمها الاصدقاء الحميمون الذين يزورون البيت . واسرع جان يفتح الباب ، واذا به وجها لوجه امام دلفوس الذى ساله :

ـ الا تخرج ؟ .

ـ نعم ... سآخذ قبعتى .

وصاحت مدام شابو وهى داخل المطبخ :

ـ ادخل يا دلفوس . كنت اقول لجان ان الوقت قد حان لكى

ينتهى كل هذا ، فانه يتلف صحته . لك ان تلهو وتعربد كما تشاء فان هذا يعنى اباك ، اما جان ...

وكان دلفوس طويل القامة ، نحيل الجسم ، وكان يبدو اشد شحوبا وامتقاعا من شابو . واطرق براسه الى الارض وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة تدل على ضيقه وارتباكه . وعادت الام تقول :

ـ ان جان يجب ان يكسب قوت يومه ، فنحن لسنا اثرياء ، وانت من الذكاء بحيث تفهم ذلك . وانى اطلب منـــك ان تتركه وشانه .

وهمس جان يقول وهو فى شدة العذاب :

ـ هيا بنا .

وتمتم دلفوس يقول :

ـ اقسم لك يا مدام شابو اننا ...

ـ فى اية ساعة عدت ليلة الامس ؟ .

ـ لا ادرى ... ربما الساعة الواحدة ...

ـ وقد اعترف جان ان الساعة كانت قد تجاوزت الثانية صباحا .

ـ حان الوقت لـكى اذهب الى المكتب يا اماه .

وكان قد لبس قبعته ، فدفع دلفوس الى البهو ونهض مسيو شابو بدوره ولبس معطفه .

وفى الخارج ، وكما هى الحال فى شوارع ليبج ، فى مثل هذه الساعة من كل يوم ، كنت ترى ربات البيوت يغسلن عتبات بيوتهن بالماء والعربات المحملة بالخضر والفحم واقفة امام الابواب ، وتسمع صياح التجار من بعيد ، وهو يمتد من شارع الى آخر .

ـ حسنا .

وكان الشابان قد انعطفا الى شارع آخر ، وكان فى مقدورهما الآن ان ينفسا عن نفسيهما ويظهر قلقهما .

ـ لا شىء ... ان جرائد الصباح لا تتكلم عن شىء ... ولعلهم لم يعثروا بعد على الـ ...

وكان دلفوس يضع على راسه قبعة خفيفة بحافة عريضة كتلك القبعات التى يلبسها الطلبة . وكان الشارع مزدحما بالطلبة الذين يمضون الى كلياتهم ، وبدوا فوق جسر نهر الموز اشبه بالمركب .

ـ ان امى غاضبة ... وتحقد عليك انت على وجه الخصوص .

واجتازا السوق وشقا طريقهما بين سلال الخضر والفواكه ، ويدوسان باقدامهما اوراق الكرنب والخس ، وكان جان ثابت النظر .

ـ قل لى .. ماذا فعلت من اجل النقود .. ان اليوم هو الخامس عشر .

وانتقلا الى رصيف آخر لأن بالرصيف الذى كانا يمشيان فوقه تاجر سجائر يدينهما بمبلغ ستين فرنكا .

ـ اننى اعرف ... نظرت هذا الصباح فى حافظة ابى ... فلم اجد فيها غير اوراق نقدية من فئة كبيرة .

واردف دلفوس يقول فى صوت خافت :

ـ لا تشغل بالك ... سامضى بعد قليل الى محل خال بشارع ليوبولد .. فغالبا ما يتركوننى لحظة بمفردى فى المحل .

وكان جان يعرف المحل ، وهو اكبر متجر لبيع الشيكولاتة بمدينة ليبج ، وكان يتصور صديقه وهو يدس يده فى درج النقود .

ـ متى اراك ؟ .

ـ سانتظرك عند الظهر .

وبلغا مكتب المحامى لاهوست الذى يشتغل فيه شابو . وشد كل منهما على يد الآخر دون ان ينظر اليه ، واحس جان بشىء من الضيق وهو يرى ان صديقه لا يضغط على يده بنفس القوة التى الفها منه قبل ذلك .

وصحيح انهما اصبحا اليوم شريكين .

وكان لجان مكتب فى غرفة الاستقبال ، وكان هو آخر القادمين . وكان عمله قوامه على الخصوص لصق الطوابع على الخطابات وتبويب

الرسائل والاضطلاع بالأعمال التى يتطلبها المكتب فى الخارج .

وفى هذا الصباح كان يقوم بعمله دون أن ينطق بكلمة ودون أن ينظر الى أحد كما لو كان يريد الا يلحظه أحد ما . وكان يراقب على الخصوص الكاتب الأول ، وهو رجل فى نحو الخمسين من عمره صارم الملامح يتصل عمله به .

وحتى الساعة الحادية عشرة لم يكن قد حدث شىء بعد . ولكن قبيل الظهر اقترب منه الكاتب الأول وخاطبه قائلا :

ـ هل معك كشف الخزانة الصغيرة يا شابو ؟ .

وكان جان قد أعد الرد منذ الصباح وراح يردده بينه وبين نفسه حتى حفظه عن ظهر قلب :

ـ التمس معذرتك يا مسيو هوزيه ، اننى لبست بدلة غير بدلة الأمس ونسيت فى جيبها الكشف والنقود . سآتيك بهما بعد ظهر اليوم .

وكان أصفر الوجه ، وقد استغرب الكاتب ذلك وسأله :

ـ هل انت مريض ؟ .

ـ كلا ... لا أدرى ... ربما قليلا .

وكانت للخزانة الصغيرة حسابا على حدة فى المكتب ، وهو عبارة عن النقود الضرورية للطوابع والخطابات المسجلة ، وعلى العموم كل النفقات العاجلة الجارية . وكان مسيو هوزيه يعطى جان شابو كل يوم ١٥ ويوم ٣٠ من كل شهر مبلغا معينا من المال ويسجل جان المصروفات فى دفتر صغير معه .

واخذ الموظفون ينصرفون ، واذ خرج الشاب الى الشارع بحث بعينيه عن دلفوس ، ورآه على كثب من محل السجائر ، يدخن سيجارة ذهبية الطرف :

ـ اذن ؟ .

ـ سددت ديننا هنا .

واخذا يمشيان ، فقد كانا بحاجة الى أن يشعرا بالجمهور يتدفق حولهما :

ـ تعال معى الى البليكان . اننى مضيت الى خالى ، ولم البث بالمحل غير بضع ثوان ، ودسست يدى فى الدرج واخذت الكثير على غير ارادتى .

ـ كم ؟ .

ـ ما يقرب من الفى فرنك .

وافزع الرقم شابو فى حين قال دلفوس :

ـ اليك ثلاثمائة فرنك من اجل الخزانة الصغيرة ، وسوف نتقاسم الباقى .

ـ كلا .

كان كل منها محموما ، مع فارق وحيد وهو ان دلفوس كان يبدو فى عينيه التهديد والوعيد تقريبا .

ـ لست بحاجة الى هذه النقود .

ـ ولا انا .

ومرا ببيت القيا نظرة على شرفة بالطابق الأولَ منه بحركة آلية . كانت شرفة الحجرة المفروشة التى تسكنها اديل ، الراقصة بملهى الجيه مولان .

ـ الم تذهب هناك ؟ .

ـ اننى سلكت شارع بودور . كانت الأبواب مفتوحة ككلَ صباح ... وكان فيكتور وجوزيف يقومان بأعمال التنظيف .

ضغط جان على اصابعه ، الواحد بعد الآخر حتى كاد يحطمها وقال :

ـ ومع ذلك فانت قد رايت جيدا الليلة الماضية ، اليس كذلك ؟ .

اجاب دلفوس وهو يرتجف :

ـ انا متاكد من اننى رايت التركى .

ـ الم يكن هناك شرطة فى الشارع ؟ .

ودخلا مقهى البليكان ، وجلسا الى منضدة بجوار المدخلَ ، وطلبا

قدحين من الجعة الانجليزية . ولحظ جان على الفور زبونا جالسا أمامه تقريبا .

ـ لا تلتفت الى الخلف ... انظر فى المرآة ... كان فى الليلة الماضية هناك ... انت تعرف ما أعنيه .

ـ الرجل الضخم الجسم .. نعم .. اننى أعرفه .

كان هو آخر زبون دخل الجيه مولان ، الرجل الضخم والعريض الكتفين الذى شرب جعة .

ـ انه ليس من أهالى ليبج دون شك .

ـ انه يدخن طباقا فرنسيا ... حذار ، انه يراقبنا .

ـ أيها الساقى .. كم الحساب ... اظن اننا كنا ندين لك باثنين واربعين فرنكا .

واعطـاه ورقة من فئة المئة فرنك ، واظهر اوراقا كثيرة غيرها وهو يقول :

ـ خذ حسابك .

لم يشعر بالهدوء والأمان فى أى مكان فما ان يجلسا حتى يستأنفان السير ، وكان القلق يدفع شابو الى الالتفات الى الخلف دائما .

ـ ان الرجل يقتفى اثرنا ... انه يمشى وراءنا على كل حال .

ـ اسكت . سينتهى بك الأمر اى أن تثير الفزع فى نفسى ، فلماذا يتبعنا ؟

ـ ولكن ربما وجدوا مع ذلك الميـ ... او ربما لم يمت .

زجره دلفوس فى خشونة متزايدة :

ـ الا تسكت ؟ .

وقطعا ثلاثمائة متر فى صمت مطبق .

ـ هل تظن انه ينبغى أن نمضى هناك الليلة ؟ .

ـ طبعا ، والا بدا الأمر غير طبيعى لو اننا ...

ـ ما رايك ؟ ... ربما تعرف اديل شيئا .

كانت أعصاب جان شديدة التوتر . لم يكن يعرف اين ينظر ولا ماذا

يقول . ولم يجرؤ على الالتفات ، وكان يحس خلفه بوجود الرجل ذى المنكبين العريضين .

ـ لو عبر الجسر خلفنا فمعنى ذلك انه يتبعنا .

ـ هل تعود الى بيتك ؟ .

ـ لابد من ذلك ، فان امى غاضبة .

وكان جديرا بأن ينفجـــر فى البـكاء فجاة ، هنا ، فى وسط الشارع .

ـ انه يعبر الجسر ... ها انت ترى انه يتبعنا .

ـ اسكت ... سوف نلتقى هذه الليلة ... فقد وصلت البيت .

ـ رينيه ؟ .

ـ ماذا ؟ .

ـ لا اريد ان احتفظ بكل هذه النقود معى ... اسمع ...

ولكن دلفوس دخل البيت وهو يهز كتفيـه . وحث جان السير وهو ينظر فى الفترينات لـكى يرى اذا كان الرجل ما زال يتبعه .

ولم يتبق له اى شك فى شوارع حى اوترموز الهادئة . وعندئذ تراخت ساقاه واوشك ان يتوقف فى عرض الطريق وقد استولى عليه الدوار ، ولكنه ، على الرغم من ذلك راح يسرع فى سيره ، وبدا كأن الخوف يدفعه الى الامام دفعا . وعندما دخل بيته قالت له امه :

ـ ماذا بك ؟ .

ـ لا شىء .

ـ ولكنك شاحب جدا حتى ليخيل لى ان لونك قد اصبح اخضر .

واردفت تقول غاضبة :

ـ هذا جميل ، اليس كذلك ؟ ؟ تفعل كل هذا فى سنك هذه ! .. اين كنت الليلة الماضية ؟ .. ومع من ؟ .. اننى لا افهم كيف لا يقسو ابوك عليك وكيف يتركك هكذا ؟ .. هيا ، كل .

ـ لست جائعا .

ـ اليوم ايضا ؟ .

ـ دعيني يا أماه ، أرجوك ... انني لست على ما يرام ... ولا أدرى ما بى .

ولـكن نظرة مدام شابو الحادة بقيت كما هى ولم تتغير ، ولم تبد الشفقة فى عينيها . كانت امراة قصيرة القامة ، جافة ، عصبية ، لا تكف عن الحركة من الصباح حتى المساء .

ـ اذا كنت مريضا دعوت لك الطبيب .

ـ كلا ، أرجوك .

وقع أقـدام على السلم ، وبرز رأس طالب من خـلال الباب الزجاجى للمطبخ . وطرق الطالب الباب ، وكانت قسمات وجهه تعبر عن القلق والحذر . وقال :

ـ هل تعرفين الرجل الذى يتمشى فى الشـارع جيئة وذهابا يا مدام شابو ؟ .

كان يتكلم بلهجة سلافية واضحة . وكانت عيناه ثاقبتين . وكان يحتد لأقل شيء .

وكان قد تجاوز السن العادية للطلبة ، ولكنه كان ما زال مسجلا فى الجامعة على الرغم من أنه كان يتابع دروسها .

وكان المعـروف عنه انه من اهالى كردستان ، وانه كان يشتغل بالسياسة فى بلده ، وكان يزعم أنه من اصل نبيل .

ـ اى رجل يا مسيو بوجدانوفسكى ؟ .

ـ تعال .

واخذها الى قاعة الطعام ، وكانت نافذتها تطل على الشارع .

وتردد جان فى ان يتبعهما . وانتهى به الأمر الى أن يمشى خلفهما هو الآخر .

ـ منذ ربع ساعة وهو هنا ، يمشى جيئة وذهابا ... وانني أعرف هذا النوع من الرجال ... من المؤكد أنه من رجال البوليس .

صاحت مدام شابو تقول متفائلة :

ـ ابدا ... انك ترى رجال البوليس فى كل مكان . انمـا هو رجل عادى على موعد مع أحد .

القى مسيو بوجدانوفسكى اليها نظرة متشككة ، ودمدم ببضع كلمات بلغته الأصلية ثم عاد الى مسكنه . اما جان فقد عرف الرجل ذا المنكبين العريضين .

ـ تعال كل ، ولا تقل انك لست جائعا ، والا فالى الفراش والطبيب على الفور .

وكان مسيو شابو لا يعود من مكتبه وقت الفداء ، وكانوا يتناولون الطعـام فى المطبخ . ولم تكن مدام شابو تجلس ابدا ولا تـكف عن الحركة ما بين الموقد والمائدة .

وبينما كان جان يحاول أن يزدرد بضع لقيمات وهو مطرق براسه كانت هى تراقبه ، وفجاة لحظت شيئا متغيرا فى ثيابه فقالت :

ـ من اين لك برباط العنق هذا ؟ .

ـ اننى ... رينيه هو الذى اعطاه لى .

ـ رينيه ... دائما رينيه ، وليست لك كرامة فوق ذلك .اننى خجلى من اجلك ... فهم اناس ربما لديهم من المال الكثير ، ولكنهم ليسوا على اخلاق حَميدة ، بل ان ابويه ليسا متزوجين .

ـ ماما ! .

كان يقول « اماه » عادة ، ولكنه أراد هذه المرة أن يتوسل اليها وأن يضرع ، فقد فقد كل صبر وكل اناة ، ولم يعد يطلب شيئا الا السلام اثناء الساعات القلائل التى يضطر لقضائها بالبيت . كان يتصور الرجل الغريب يمشى جيئة وذهابا أمام سور المدرسة التى قضى فيها سنواته الأولى .

ـ كلا يا بنى . انك تمر بفترة سيئة ، وانا التى اقول لك هذا . وقد حان الوقت لكى يتغير هذا ، اذا كنت لا تريد ان يسوء حالك كعمك هنرى .

وكان الحديث عن عمه هذا بمثابة كابوس فظيع بالنسبة له ،

فهم يلتقون به فى اغلب الاحيان مخمورا حتى الموت او معلقا على سلم يطلى احد الجدران .

ـ ومع ذلك فقـــد تلقى علومه وفى مقدوره ان يطالب بوظيفـة محترمة .

ونهض جان وفمه مملوء وانتزع قبعته من الشماعة انتزاعا وبادر بالفرار .

وفى ليبج تصدر بعض الصحف صباحا ولكن اهم طبعة تصدر فى الثانية بعد الظهر . وسار شابو نحو وسط المدينة فى نوع من السحاب المشمس الذى يبهر بصره وانتبه الى نفسه بعـد أن عبر الجسر وهو يسمع احد الباعة يصيح :

« اقرأ جازيت دى ليبج ... جازيت دى ليبج التى صدرت الآن ... جثة فى حقيبة من الخيزران ... جريمة فظيعة ... اقرأ جازيت دى ليبج » .

وبجواره ، على اقل من مترين اشـــترى ذو المنكبين العريضين الجريدة ووقف ينتظر باقى نقـــوده ، وفتش جان فى جيوبه ووجد الأوراق النقدية التى دسها فى جيبه كما اتفق وبحث عبثا عن قطـع صغيرة من النقود واذ لم يجد استأنف سيره ، ودفع بعد خطوات قليلة باب المكتب ، وكان الموظفون قد وصلوا قبله . وقال له الـكاتب الاول :

ـ خمس دقائق تاخير يا مسيو شابو ، ليس هذا كثيرا ولكنه تاخير يتكرر احيانا .

ـ التمس المعذرة . كان هناك ترامواى مزدحم .. اننى اتيتك بكشف حساب المصروفات .

واحس تماما بأن وجهه ليس كعادته ، فقد كان وجهه مضطرما . وكانت هناك رجفات فى حدقتيه .

واخذ مسيو هوزيه يقلب صفحات الدفتر الصغير ويراجع الجمع فى اسفل كل صفحة :

ـ باقى مائة وثمانية عشر فرنكا وخمسون سنتيما ... اليس كذلك ؟ .

وندم جان على انه لم يستبدل احدى اوراق البنكنوت التى معه . وسمع الكاتب الثانى والموظفة على الآلة الكاتبة يتحدثان عن الحقيبة الخيزران .

ـ جرافو بولوس ... هذا اسم تركى ، اليس كذلك ؟ .

ـ بل يبدو انه يونانى .

احس شابو بطنين شديد يدوى فى اذنيه . واخرج من جيبه ورقتين من فئة المئة فرنك ، واشار مسيو هوزيه فى برود الى شىء وقع على الارض ، وكان ورقة ثالثة وقال :

ـ يبدو لى انك تستهين بالنقود كثيرا . اليس معك حافظة ؟ .

ـ التمس معذرتك .

ـ لو ان الرئيس رآك تضع النقود هكذا فى جيبك ! .. حسنا ، ليس معى فكة ... يمكنك ان ترحل المائة والثمانية عشر فرنكا والخمسين سنتيما الى الحساب الجديد ، وعندما يفرغ هذا المبلغ اطلب منى غيره . سوف تمر بعد ظهر اليوم على الجرائد لتسليم الاعلانات القضائية ، وهذا امر عاجل اذ يتحتم ان تظهر هذه الاعلانات غدا .

التركى ... التركى ... التركى ...

سر الحقيبة الخيزران .

عندما فتح حارس حديقة الحيوانات ابواب الحديقة فى الساعة التاسعة من صباح اليوم راى حقيبة كبيرة الحجم من الخيزران ملقاة فوق الحشائش . وحاول ان يفتحها عبثا ، فقد كانت مغلقة بحلقة مثبتة بقفل متين .

واستدعى الشرطى ليروى الذى ابلغ بدوره كوميسير البوليس بالفرقة الرابعة .

وجىء بحداد ولم يتمكنوا من فتح الحقيبة الا فى الساعة العاشرة ،

وللقارىء أن يتصور المنظر الذى طالعهم عندئذ .

فقد كان بالحقيبة جثة رجل مكومة حول نفسها ، ولكى يحشرها واضعها حشرا لم يتردد فى كسر فقرات العنق .

والجثة لرجل فى نحو الأربعين من عمره ، اجنبى الجنسية ، بحثوا عن حافظته عبثا ، ولكنهم وجدوا فى احد جيوب الصديرى بطاقة زيارة باسم افرايم جرافوبولوس .

ويبدو أن هذا الأخير لم يأت الى ليبج الا منذ وقت قريب جدا ، لان اسمه ليس مسجلا فى كشف الأجانب ولا فى بطاقات فنادق المدينة .

ولن يبدأ الطبيب الشرعى الا بتشريح الجثة الا بعد ظهر اليوم ، ولكن المعتقد منذ الآن أن الموت يرجع الى ليلة الامس وانه حدث بواسطة اداة ثقيلة جدا كمطرقة من الكاوتشوك أو قضيب من الحديد أو كيس من الرمل أو عصا لها قبضة من الرصاص .

وسنوافى القراء بتفاصيل هذه الجريمة فى طبعتنا القادمة ، ويمكن القول منذ الآن انها سوف تكون مثيرة جدا .

وبلغ جان شباك جريدة الموز والجـــريدة فى يده وسلم الموظف المختص الاعلانات القضائية ووقف ينتظر الايصال .

كانت المدينة تعج بالحركة تحت أشـعة الشمس . كانت أواخر أجمل أيام الخـــريف ، وبدأوا فى الشوارع فى اقامة المعارض الشعبية للسوق الخيرية التى تقام فى اكتوبر من كل سنة .

وعبثا حاول أن يبحث خلفه عن الرجل الذى كان يتعقبه صباح اليوم ، وعندما مر بمقهى البليكان تأكد من أن دلفوس ليس موجودا به ..

وتحول الى شارع بودور ، وكانت أبواب الجيه مولان مفتوحة ، وكان الظلام يسود القاعة ولم يستطع أن يميز اكثر من المقاعد المخملية الحمراء وكان فيكتور يغسل الزجاج ، وحث شابو خطاه لكى لا يراه احد .

ومضى الى جريدة الاكسبريس ثم الى جريدة ليبج .

وفتنته شرفة اديل ، وتردد . وكان قد زارها مرة قبل ذلك ، وكان ذلك منذ شهر ، وكان دلفوس قد اقسم له انه عشيق الراقصة، فطرق بابها فى نحو الظهر بحجة غبية . واستقبلته مرتدية منامة قذرة واستمرت فى تزيين نفسها امامه وهى تثرثر معه كما لو كانت صديقة حميمة .

ولم يحاول اى شيء معها ، ولكنه كان سعيدا جدا بهذه الصداقة .

ودفع باب الطابق الأرضى بجوار محل البقالة وارتقى الدرج المظلم وطرق الباب .

ولم يجبه احد ولكنه لم يلبث ان سمع وقع خطوات تقترب وفتح الباب وانبعثت من الداخل رائحة قوية من الكحول ، وقالت :

ـ اهذا انت ؟ ... حسبته صديقك .

ـ لماذا ؟ .

وكانت اديل قد عادت الى الموقد المعدنى الذى يعمل بالكحول ، وكانت فوقه مكواة .

ـ خطر لى ذلك ولا ادرى لماذا . اغلق الباب حالا فهناك تيار .

وفى هذه اللحظة احس شابو برغبته فى ان يبثها همه وذات نفسه وان يقول لها كل شيء وان يطلب منها النصح والمشورة ، وان يحاول مهما حدث ان يعمل على ان تواسيه هذه المراة ذات العينين المكدودتين واللحم المتعب اللذيذ تحت المنامة والشبشب الساتان الاحمر الذى تسير به فى الغرفة المشوشة .

وفوق الفراش المشوش هو الآخر كانت هناك نسخة من جازيت دى ليبج .

الفصل الثالث

الرجل ذو المنكبين العريضين

وكانت قد صحت من النوم منذ قليل ، وبجوار الموقد علبة من اللبن المركز . وعادت تقول :

ـ الم يات صديقك معك ؟ .

تجهم شابو على الفور واجاب متذمرا :

ـ ولماذا ياتى معى ؟ .

ولم تلحظ شيئا ، وفتحت دولابا اخذت منه قميصا من الحرير الشفاف :

ـ هل صحيح ان اباه من كبار رجال الصناعة ؟ .

ولم يكن جان قد جلس ، بل انه ظل ممسكا بقبعته ، وراح ينظر اليها وهى تروح وتغدو ، وهو فريسة لعـــاطفة مضطربة يشوبها الحزن والاسى والرغبة والاحترام الغريزى نحو المراة واليأس .

ولم تكن جميلة ، خصوصا وهى تلبس الشبشب والمنامة المجعدة . ولكن لعلها كانت اكثر فتنة وسحرا بالنسبة له وهى تتصرف امامه بهذه الالفة وهذه الصداقة الحميمة . اتراها كانت فى الخامسة والعشرين او فى الثلاثين من عمرها ؟ انها عركت الحياة كثيرا على كل حال ، وكانت تتكلم كثـيرا عن باريس وبرلين واوستند وتذكر اسماء علب الليل الشهيرة بها .

ولكنها كانت تتكلم من غير حمية ودون كبرياء ودون تصنع . بل على العكس ، كان يبدو ان الملل هو السمة المميزة لطبيعتها ... الملل الذى يبدو فى عينيها الخضراوين وفى الطريقة الرقيقـة لشفتيها وهمـا تطبقان على السيجارة وفى حركاتها وابتساماتها ... ملل باسم .

ـ وماذا يصنع ؟ .

ـ دراجات بخارية .

ـ هذا غريب . اننى عرفت فى سان اتيين صانعا آخر للدراجات . كم عمره ؟ .

ـ الأب ؟ .

ـ كلا ... رينيه .

وازداد تجهمه واكفهـــــراره وهو يسمعها تنطق بالاسم الأول لصديقه .

ـ ١٨ سنة .

ـ أظن انه فاجر .

كانت الألفة كاملة ، وكانت تعامل جان شابو ندا لند . ولـكنها على العكس ، حين تتكلم عن رينيه دلفوس كان يشوب لهجتها سمة من الاعتبار .

أتراها خمنت أن شابو غير ثرى ، وانه ينتمى الى أسرة تكاد تكون مشابهة لأسرتها ؟ .

ـ اجلس ... ألا يزعجك ان ارتدى ثيابها ... ناولنى السجائر .

واذا رأته يبحث عنها حوله قالت :

ـ انها فوق طاولة الزينة ... نعم ... هذه هى .

وامتقع لون جان ولمس فى خوف علبة السجائر التى رآها بالأمس بين يدى الرجل الغريب . ونظر الى صاحبته التى انفتحت منامتها على جسدها العارى وراحت تلبس جوربها .

وازداد ارتباكه عن ذى قبل واصطبغ وجهه ، ربما بسبب علبة السجائر ، وربما بسبب هذا العرى الذى لم تحاول أن تغطيه ، ومما لا شك فيه بسبب الاثنين معا .

ذلك ان اديل لم تكن امراة فحسب ، وانما كانت امراة مشتركة فى مأساة . امراة لها سر دون شك .

ـ حسنا ؟ .

وناولها العلبة . وسالته :

ـ امعك عود ثقاب ؟ .

وارتعشت يده وهو يقدم لها عود الثقاب المشتعل . وقهقهت عندئذ وقالت :

ـ ولـكن ما بك ؟ .. لا ريب انك لم تر كثـيرا من النساء فى حياتك .

ـ بل كن عشيقات .

وازدات ضحكتها اتساعا ، ونظرت اليه ماريا وهى تطبق عينيها نصف اطباقة وقالت :

ـ انت مضحك ... وامرك غريب .. اعطنى حزامى .

ـ هل عدت فى وقت متاخر الليلة الماضية ؟ .

نظرت اليه فى شىء من الجد وقالت :

ـ اتكون عاشقا ؟ .. وغيورا فوق ذلك ؟ .. اننى افهم الآن لماذا اكفهر وجهك عندما حدثتك عن رينيه ... هيا ، استدر نحـو الحائط .

ـ الم تقرئى الجرائد ؟ .

ـ انما قرات الرواية المسلسلة فحسب .

ـ ان رجل الأمس قتل .

ـ حقا ؟ .

لم يبد عليها انها تاثرت جـدا ... كل ما بدا عليهـا شىء من الفضول .

ـ ومن الذى قتله ؟

ـ ما من احد يدرى . عثروا على جثته فى حقيبة من الخيزران .

والقت بالمنامة فوق الفـراش ، واستدار جان فى اللحظة التى كانت تخفض فيها قميصها وتبحث عن فستان فى الدولاب .

ـ هذه قصة اخرى سوف تثير لى المتاعب .

ـ هل خرجت من الجيه مولان معه ؟ .

ـ كلا . انصرفت وحدى .

ـ آه ..

ـ كأنك لا تصدقنى ... أتراك تتصور اننى أصطحب هنا كل زبائن الملهى ؟ . اننى راقصة يا صغيرى ... وبصفتى هذه يجب ان أحمل الزبائن على الشراب ... ولكن ما ان يغلق البار ابوابه حتى ينتهى كل شىء .

ـ ولكن هذا لا يمنع من ان رينيه ...

وأدرك عندئذ انه تفوه بحماقة ...

ـ وماذا فى ذلك ؟ .

ـ لا شىء ... انه قال لى ...

ـ انه غبى .. أما أنا فاقول لك انه لم يزد عن ان قبلنى .. اعطنى سيجارة اخرى .

ووضعت قبعة على رأسها وقالت :

ـ هلم بنـا . يجب أن أخرج لشراء لوازمى ... تعال ، اغلق الباب .

وهبط السلم المظلم ، احدهما خلف الآخر .

ـ أين تمضى ؟ .

ـ سأعود الى المـكتب .

ـ هل ستأتى هذه الليلة ؟ .

وتدفق الجمهور على الرصيف فافترقا ، وبعد بضع لحظات كان جان شابو جالسا الى مكتبه أمام كومة من الخطابات يلصق عليهـا طوابع البريد .

ودون أن يدرى السبب استولى عليه حزن راح يطغى عليه الآن أكثر من الخوف . واخذ ينظر الى المكتب الذى تكسوه الاعلانات القضائية فى تقزز واشمئزاز .

وسأله الكاتب الأول :

ـ هل معك الايصالات ؟ .

وعاد الكاتب يسأله بعد أن بسطها له :

ـ وايصال الجازيت دى ليبج ؟ .. أنسيت الجازيت دى ليبج ؟ .

وكانت مأساة ، بل كارثة . كانت لهجة الكاتب الأولى ماساوية :

ـ اسمع يا شابو . يجب أن أقول لك ان الأمر لا يمكن أن يستمر هكذا . ان العمل هو العمل ، والواجب هو الواجب . سأضطر الى أن أرفع الأمر الى الرئيس . ثم اننى علمت انهم يلتقون بك ليلا فى أماكن غير محترمة لم أضع أنا نفس قدمى فيها ابدا . واذا اردت الصراحة فأنت تمر بلحظة سيئة . أنظر الى عندما أحدثك ، ودعك من هذه السخرية . هل تسمع ؟ .. لن يستمر الامر هكذا .

وانصفق الباب ، وبقى الشاب وحده يلصق طوابع البريد .

كانت هذه هى الساعة التى يجلس فيها دلفوس دون ريب فى شرفة البليكان ، أو فى احدى دور السينما ، فقد كانت الساعة تشير الى الخامسة . ونظر جان شابو الى العقرب وهو يتقدم كل دقيقة ستين مرة ثم نهض وأخذ قبعته وأغلق درجه بالمفتاح .

لم يكن الرجل ذو المنكبين العريضين بالخارج . وكان الجو باردا والشفق يغطى الشوارع بحصر كبيرة من الضباب الازرق الذى تخترقه مصابيح الفترينات .

ـ اقرأ الجازيت دى ليبج .

لم يكن دلفوس موجودا فى البليكان . وبحث جان شابو عنه فى المقاهى الاخرى بوسط المدينة التى اعتاد أن يختلف اليها . وكانت ساقاه ثقيلتين ورأسه فارغا بحيث خطر له أن يذهب لكى ينام .

وعندما عاد الى بيته حدثته غريزته على الفور بوقوع أمر جلل ، فقد كان باب المطبخ مفتوحا ، وكانت الآنسة بولين ، وهى طالبة بولونية تسكن فى غرفة مفروشة بالبيت ، منحنية فوق شخص لم يره الفتى فورا .

وتقدم فى جوف الصمت . وارتفع نحيب فجأة ، وادارت الآنسة بولين اليه وجها لا يتمتع بأى سمة من الجمال وقالت له فى صرامة :

ـ أنظر ماذا فعلت بأمك يا جان ؟ .

كانت مدام شـــابو تبكى أحر بكاء وهى جالسة أمام المائدة بمئزرتها ومرفقيها فوق المائدة . وقال جان يسأل :

ـ ما الخبر ؟ .

ـ ولكنك تعرف سبب بكائها بالتأكيد .

وجففت مدام شـابو عينيها الحمراوين ، ونظرت الى ابنها ثم انفجرت تقول :

ـ انه سيتسبب فى موتى ... هذا فظيع .

ـ ولكن ماذا فعلت يا أماه ؟ .

كان جان يتكلم فى صـــوت خافت ، وكان خوفه من الشدة بحيث سمره مكانه .

وقالت الأم :

ـ دعينا الآن يا آنسة بولين .. انت ظريفة جدا ... اننا آثرنا دائما أن نكون فقراء وشرفاء .

ـ اننى لا أفهم .

واسرعت الطـــالبة بالانصراف ، وسمعها الاثنان وهى تصعد درجات السلم ، ولكنها حرصت على أن تترك باب غرفتهـــا مفتوحا .

ـ ماذا فعلت ؟ .. صارحنى بالقول .. سيعود ابوك ما بين لحظة وأخرى .. عندما انكر ان كل الحى سوف يعرف ...

ـ اقسم لك اننى لا أفهم شيئا .

ـ انت تكذب ... وانت تعرف تماما انك تكذب منذ أن تعرفت بهذا الدلفوس وهاته النسوة السيئات . منذ نصف ساعة جاءتنى مدام فلدن ، تاجرة الخضرة وهى تلهث . وكانت الآنسة بولين معى وتكلمت أمامها وقالت ان رجلا ذهب اليها لـكى يستعلم منها عنا .. رجل ليس هناك أى ريب فى أنه من رجال البوليس ... وكان لابد له من أن يذهب الى مدام فلدن بالذات ، فهى صاحبة اسلط لسان

فى الحى كله ... ولا ريب ان جميع اهالى الحى يعرفون الآن .

وكانت قد نهضت وراحت تصب بحركة آلية الماء المغلى فى التنكة ، ثم اخرجت ممسحة نظيفة من الدولاب .

ـ اهذه مكافاتنا بعد كل التضحيات التى قمنا بها من اجلك لكى نراك فى احسن حال ... البوليس يولينا كل اهتمامه الآن ، ومن يدرى ، ربما جاء الى البيت ، لا ادرى كيف يقابل ابوك الامر ، ولكننى اعرف جيدا ما كان يفعله ابى انا لو انه كان لا يزال على قيد الحياة ... انه كان جديرا بان يطردك من البيت على الفور ، وحين افكر انك لم تبلغ السابعة عشرة بعد ... ولكنها غلطته هو ... غلطة ابيك ... فهو الذى يدعك تسهر حتى الساعة الثالثة صباحا ، وحين اغضب يتحزب لك .

ودون أن يدرى جان لماذا ، كان يكاد يكون متاكدا ان رجل البوليس المزعوم ما هو الا ذلك الرجل العريض المنكبين . ونظر مليا وفى ضراوة الى الارض ، وقالت امه :

ـ الا تقول شيئا ؟ ... الا تريد الاعتراف بما فعلت ؟ .

ـ اننى لم افعل شيئا يا اماه .

ـ وهل يهتم البوليس بك لو انك لم تفعل شيئا ؟ .

ـ ليس من الاكيد انه من رجال البوليس .

ـ فمن يكون اذن ؟ .

وواتته الشجاعة فجاة لان يكذب ولكى ينتفى من هذا النقاش فقال :

ـ لعلهم اناس يريدون الحاقى بعمل لديهم ويحاولون الاستعلام عنى ... ان المرتب الذى اتقاضاه حيث اعمل الآن ضئيل جدا ، وقد لجات الى نواح مختلفة لكى اجد وظيفة احسن .

نظرت اليه بطريقة حادة وقالت :

ـ انت تكذب .

ـ اننى اقسم لك .

ـ هل انت واثق انك لم ترتكب انت او دلفوس حماقة ما ؟ .

ـ اقسم لك يا أماه ...

ـ حسنا . اذا صح ذلك فمن الأوفق ان تمضى الى مدام فلدن ، فلا داعى لكى تقول للجميع ان البوليس يبحث عنك .

ودار المفتاح فى قفل الباب العمومى ، وخلع مسيو شابو معطفه وعلقه بالشماعة ثم دخل المطبخ وجلس فى مقعده الخيزران .

ـ هل عدت يا جان ؟ .

وادهشه أن يرى عينى زوجته الحمراوين وسحنة الشاب المكفهرة فقال يسأل :

ـ ما الخبر ؟ .

ـ لا شيء ... كنت ازجر جان ... أود ان لا أراه يعود فى اوقات متأخرة ... كما ان اقامته بالبيت لا تروق له .

ووضعت الأطباق فوق المائدة وملأت الفناجين . وقرأ مسيو شابو الجريدة وهو يأكل وراح يعلق على ما بها من اخبار فقال :

ـ هذه جريمة اخرى تثير فضيحة كبيرة ... جثة فى حقيبة من الخيزران ... رجل أجنبى طبعا ... ولا ريب انه جاسوس .

وغير مجرى الحديث فقال :

ـ هل دفع مسيو بوجدانوفسكى ؟ .

ـ لم يدفع بعد . قال انه ينتظر نقودا يوم الأربعاء .

ـ كما ينتظرها منذ ثلاثة أسابيع .. ويحه ! ... اذا لم يدفع يوم الأربعاء فقولى له ان الأمر لا يمكن أن يستمر هكذا .

كان الجو ثقيلا ، مشحونا بالروائح المألوفة بانعكاسات فوق الأوانى النحاسية والبقع الغامقة فوق تقويم الأيام المعلق الى الحائط منذ اكثر من ثلاث سنوات والذى يستخدمونه الآن لوضع الجرائد .

وكان جان يأكل فى حركات آلية . واستولى عليه الحذر شيئا فشيئا . وفى هذا الديكور الذى لا يتغير كل يوم راح يشك فى حقيقة الأحداث التى جرت فى الخارج . وهكذا ، تصور ، بكل

مشقة ، انه كان قبل ذلك بساعتين فى غرفة راقصة تلبس جوربيها امامه ومنامتها مفتوحة على جســـدها الشاحب المـكتنز المتعب شيئا ما .

ـ هل استعلمت كما قلت لك عن البيت ؟.

ـ اى بيت ؟ .

ـ عمارة شارع فيرو نستريه ؟ .

ـ اننى ... اننى نسيت .

ـ كما هى عادتك دائما .

ـ أرجو أن تستريح الليلة فانك تبدو متعبا جدا .

ـ نعم . لن اخرج الليلة .

ولم تكن مدام شابو قد اطمانت تماما وراحت ترقب ما يطرأ على وجه ابنها من تعبيرات ، وتدخلت قائلة :

ـ ستكون هذه اول مرة هذا الأسبوع .

ودوى صوت صندوق الخطابات ، وتاكد جان ان هذا الدوى من اجله هو فاسرع الى الطرقة لـكى يفتح الباب ، ونظر مسيو شابو وزوجته من خلال الباب الزجاجى . وقالت مدام شابو .

ـ هذا الدلفوس مرة اخرى . الا يمكن أن يدع جان وشانه . اذا استمر هذا فساذهب لـكى اتحدث الى ابويه .

وراتهما يتكلمان فى صوت خافت على عتبة الباب . والتفت شابو مرارا كثيرة لكى يتاكد ان احدا لا يسمعهما ، وبدا انه يقاوم التماسا عاجلا .

وصاح يقول فجاة من غير ان يعود الى المطبخ :

ـ ساعود حالا .

نهضت مدام شابو لكى تمنعه من الانصراف ، ولكنه كان قد اخذ قبعته بحركات سريعة وفى انفعال شديد ، ومضى الى الشارع وصفق الباب خلفه .

وصاحت بزوجها تقول :

ـ وتتركه ينصرف هكذا . أهذا هو الاحترام الذى يكنه نحوك . لو ان لك شيئا من التأثير .

واستمرت تتكلم على هذا الضرب ، تحت المصباح ، وهى تأكل فى حين راح مسيو شابو ينظر الى الجريدة دون ان يجرؤ على ان يأخذها قبل أن تنتهى زوجته من نقدها اللاذع .

ـ هل أنت واثق .

ـ كل الثقة . اننى عرفته كان فيما سبق مفتشا فى حينا .

كان دلفوس يبدو مرهقا اكثر من اى وقت مضى . وبينما كان يمشى تحت أحد المصابيح الغازية لحظ صديقه انه شاحب اللون جدا . وكان يدخن وينفث من انفه انفاسا صغيرة محمومة .

ـ لم أعد أستطيع الاحتمال . لقد استمر هذا منذ أربع ساعات .. ها هو .. التفت حالا . اننى اسمعه على بعد مائة متر منا على الاقل .

ولم يكن فى الاستطاعة الا تمييز شخص غير واضح المعالم يمشى من بعيد بطول منازل شارع لالوا .

ـ لقد بدأ ذلك بعد الغداء مباشرة ... وربما قبله ... ولكننى لم افطن الى ذلك الا وانا اجلس فى شرفة مقهى البليكان ... فقد جلس الى مائدة مجاورة ... وعرفته فهو فى البوليس السرى منذ سنتين ، وقد احتاج ابى اليه عقب سرقة أدوات معدنية من المخازن .. واسمه جيرار .. ولا ادرى لماذا نهضت ... ولكن تملكنى الانفعال . ومشيت فى شارع الكاتدرائية ، فراح يمشى خلفى . ودخلت مقهى آخر .. ووجدته ينتظرنى على بعد مائة متر ... ومضيت الى سينما موندان ووجدته جالسا بعدى بثلاثة صفوف ... ولا ادرى ماذا فعلت غير ذلك ... فقد مشيت ، وركبت ترامويات ... بسبب أوراق البنكنوت التى معى ... وقد اردت ان اتخلص منها ... لاننى لن استطيع ان افسر من اين لى بها اذا فتشونى .. الا تريد ان تقول انها لك أنت ؟ .. ان رئيسك اعطاها لك مثلا لكى تشترى شيئا .

ـ كلا .

ـ ومع ذلك فيجب أن نفعل شيئا ... سينتهى به الأمر الى ان ينادينا ... اننى ذهبت اليك لأننا كنا على كل حال معا عندما ...

ـ الم تتناولى عشاءك ؟ .

ـ لست جائعا . ما رأيك لو القينا بالأوراق فى النهر ونحن نعبر الجسر .

ـ سوف يلحظ ذلك .

ـ أستطيع على كل حال ان امضى الى دورة المياه فى احدى المقاهى . أو بالاحرى ... اسمع ... سنمضى الى مكان ما معا وستذهب انت الى دورة المياه بينما يستمر هو فى مراقبتى .

ـ واذا لحق بى ؟ .

ـ لن يلحق بك . ولا تنس ان من حقك ان تغلق الباب خلفك بالمفتاح .

وكانا لا يزالا يمشيان فى حى أوترموز ، فى الشوارع الواسعة ، وان كانت مقفرة قليلة الضوء .

وكانا يسمعان خلفهما الخطوات الرتيبة لرجل البوليس الذى لم يحاول اخفاء امره .

ـ وماذا لو ذهبنا الى الجيه مولان ؟ .. سيبدو ذلك طبيعيا ، فنحن نمضى اليه كل ليلة ... ولو اننا قتلنا التركى . فما كنا لنضع اقدامنا فيه .

ـ ولكن الوقت لا يزال مبكرا .

ـ سوف ننتظر .

ولاذا بالصمت ، وعبرا جسر الموز ، ودخلا شوارع وسط المدينة وهما يتاكدان من وقت لآخر ان جيرار لا يزال يتعقبهما .

وفى شارع بودور رايا اللافتة المضيئة للملهى ، وقد فتح لتوه .

ـ هل ندخل ؟ .

وتذكرا هروبهما فى الليلة السـابقة ، وكان لابد لهما من بذل مجهود كبير لكى يتقدما . وكان فيكتور واقفا بالباب وممسحته على ذراعه ، ولم يكن لهذا غير معنى واحد وهو انه لم يكن باللهى رواد بعد .

ـ سلم بنا .

ـ مساء الخير أيها السادة ... ألم تلتقيا بأديل ؟ .

ـ كلا . ألم تأت بعد .

ـ كلا . وهذا غريب لأنها لا تتاخر عن موعدها أبدا ... أدخلا ... هل تريدان جعة ؟ .

ـ نعم .

كانت القاعة شاغرة ، ولم يحاول الموسيقيون العزف ، بل أخذوا يثرثرون وهم ينظرون الى باب الدخول . وكان صاحب اللهى يرتب الأعلام الأمريكية والانجليزية خلف الباب وهو بالقميص .

وصاح وهو فى مكانه :

ـ مساء الخير أيها السادة ... كيف الحال ؟ .

ـ لا بأس .

ودخل رجل البوليس بدوره . كان لا يزال رجـلا فى مقتبل العمر ، يشبه شيئا ما الكاتب الأول فى مكتب المحاماة الذى يعمل شابو به . ورفض ان يعطى قبعته للحارس وجلس بجوار الباب .

وأتى صاحب البار باشـارة الى الموسيقيين فراحوا يعزفون فى حين جلس الراقص المحترف فى آخر الصالة حيث عكف على كتابة رسالة . واقترب من الراقصة الوحيدة التى اقبلت وقال :

ـ كيف حالك ؟ .

ووضع دلفوس شيئا فى يد صديقه . وتردد جان فى ان يمسك به . وكان رجل البوليس ينظر اليهما ، ولكن العملية كانت تتم تحت المنضدة .

ـ هذه هى اللحظة .

وحزم شابو امره فامسك بالأوراق اللزجة واحتفظ بها فى يده لكى لا تصدر منه حركات خرقاء لا فـائدة منها ، ونهض وهو يقـول فى صوت مسموع :

ـ ساعود .

ولم يستطع دلفوس اخفاء ارتياحه ، وعلى الرغم منه رمى تابعه بنظرة فوز .

واستوقف صاحب البار جان قائلا :

ـ انتظر حتى آتيك بالمفتاح فان الموظفة لم تأت بعد ... لا ادرى ما بهن حتى يتأخرن كلهن اليوم .

كان باب القبو مواربا . وكانت تنبعث منه نسمات رطبة من الهواء جعلت القشعريرة تسرى فى جسد الشاب .

واحتسى دلفوس قدحه دفعة واحدة ، واحس بان الشراب اصابه بخير كبير ، فاحتسى قدح صديقه ايضا . ولم يتحرك رجل البوليس مما يدل على ان العملية قد نجحت ... بعد بضع دقائق ستختفى اوراق البنكنوت المورطة فى المرحاض .

وفى هذه اللحظة دخلت اديل ، وكانت ترتدى معطفا من الساتان الأسود المبطن بالفراء الأبيض ، والقت بالتحية الى الموسيقيين ، ثم ضغطت على يد فيكتور .

وقالت تخاطب دلفوس :

ـ آه ! اهذا انت ؟ .. هل صديقك هنا ؟ .. اننى رايته بعـد ظهر اليوم . زارنى فى البيت . انه شاب غريب . هل تسمح ان اخلع ثيابى .

وتركت معطفها خلف البنك حيث تبادلت بضع كلمات مع صاحب الملهى ، ثم عادت نحو الشاب وجلست بجواره .

ـ قدحان ؟ ... هل معك احد ؟ .

ـ معى جان .

ـ اين هو ؟ .

ـ هناك .

واشار الى الباب بعينيه .

ـ آه ، حسنا . ماذا يفعل ابوه ؟ .

ـ اظن انه كاتب حسابات فى شركة تامين .

لم تقل شيئا ، فقد قنعت بهـذا الرد ، فقـد كان هذا هو نفس ما خطر لها .

ـ لماذا لم تعد تأتى بسيارتك .

ـ انها سيارة أبى ، وليس معى رخصة قيادة . ولهذا لا اسوقها الا حين يكون مسافرا . سيسافر فى الأسبوع المقبل الى الفوج . واذا اردت ... اذا اردت ان نقوم بنزهة معا .. حتى سبا مثلا ؟ ..

ـ من هذا الرجل الجالس هناك ؟ .. أليس من رجال البوليس ؟ .

تمتم وقد اصطبغ وجهه :

ـ لا ادرى .

ـ ان له نظرة لا تروق لى ... هل انت واثق ان صديقك لم يقع له شيء ؟ .. فيكتور .. كأس من الشيرى .. الا ترقص ؟ .. ليس ذلك لأننى اريد ولكن صاحب الملهى يحب أن تكون هناك حركة بالبار .

ومضت عشرون دقيقة على اختفاء شابو ، ولم يحسن دلفوس الرقص بحيث ان اديل تولت ، فى منتصف الرقصة ، قيـاده بالقوة .

ـ هل تسمحين ؟ .. سامضى لأرى ماذا حدث له .

ودفع باب دورة المياه ، ولـكن شابو لم يكن بها ، ورأى الموظفة ترتب أدوات التواليت فوق الرف .

ـ الم ترى صديقى ؟ .

ـ كلا ... اننى اتيت لتوى .

ـ من الباب الخلفى ؟ .

ـ نعم ، كما هى عادتى دائما .

وفتح الباب الخلفى . كان الزقاق مقفرا وممطرا وباردا لا يبدد ظلامه غير مصباح غازى باهت .

الفصل الرابع

مدخنو الغليون

كانوا اربعة فى الغرفة الكبيرة حيث توجد بها مناضد مغطاة بورق نشاف تستخدم كالمكاتب ، وفوقها اباجورات خضراء ، والأبواب مفتوحة وتفضى الى غرف شاغرة .

وكان الوقت ليلا ، ولم يكن هناك غير رجال ادارة الامن ، وكانوا ينتظرون وكل منهم يدخن غليونا . وكان القوميسير دلفين ، وهو رجل طويل القامة ضخم الجسم احمر الشعر جالسا أمام منضدة يفتل شاربه من وقت لآخر فى حين راح مفتش شاب يرسم أشكالا فوق ورقة النشاف . أما الذى كان يتكلم فكان رجلا قصير القامة متين البنية لا شك انه قدم من الريف وبقى فلاحا من أعلى رأسه الى اخمص قدميه . قال :

ـ سبعة فرنكات ثمن الغليون الواحد اذا اشترينا اثنى عشر ، وهو نوع من الغلايين يباع فى أى متجر بعشرين فرنكا ، وليس فيها أى عيب ... ان صهرى يعمل فى المصنع بأرلون .

ـ فى مقدورنا أن نطلب دستتين لكل الفرقة .

ـ هذا ما كتبته لصهرى . وبهذه المناسبة ، ولأنه من المهنة ذكر لى طريقة خاصة لتسويد الغلايين .

وراح القوميسير يؤرجح ساقا فى الهواء . كان الجميع يتابعون الحديث فى اهتمام كبير ، فقد كانوا يدخنون جميعا . وفى ضوء المصابيح الفج كنت ترى سحبا زرقاء تملأ جو الغرفة .

بدلا من أن نحشوها كيفما اتفق ، يجب أن نمسك محرق الغليون هكذا .

فتح الباب عندئذ ودخل رجل يدفع آخر أمامه . والقى القوميسير نظرة اليهما وقال :

ـ اهكذا انت يا بيرونيه ؟ .

ـ نعم ، نعم انا هو ايها الرئيس .

وتحول القوميسير دلفين الى اخصائى الفلايين وقال له :

ـ أسرع .

وتركوا الشاب واقفا بجوار الباب ، بحيث اضطر ان يسمع كل الحديث عن طريقة تسويد الفلايين .

وقال احد المفتشين يخاطب بيرونيه :

ـ اتريد دستة انت الآخر ؟ .. انها غلايين من نوع ممتاز ثمن الواحد منها سبعة فرنكات فحسب والفضل فى ذلك يرجع الى صهرى لأنه رئيس العمال بأرلون .

وقال القوميسير دون ان يغير مكانه :

ـ تقدم قليلا يا بنى .

ولم يكن الشاب غير جان شابو ، وكان محتقن الوجه ، عيناه ثابتتان بحيث خشى القوميسير أن يصاب بأزمة عصبية . ونظر الآخرون اليه وهم يدخنون ويتبادلون الحديث فيما بينهم . بل ان احدهم نطق بدعابة جعلتهم جميعا يضحكون ؟ .

ـ اين القيت القبض عليه يا بيرونيه ؟ .

ـ فى الجيه مولان ... وفى اللحظة المناسبة تماما .. فى نفس الوقت الذى كان يهم فيه بالقاء اوراق بنكنوت من فئة مائة فرنك فى المرحاض .

ولم يدهش هذا القول احدا . وادار القوميسير البصر حوله وهو يقول :

ـ من يريد ان يدون الأقوال ؟ .

جلس اصغر الموجودين امام منضدة ، واخذ ورقة استجواب مطبوعة فى حين قال القوميسير :

ـ اسمك ولقبك وعمرك ومهنتك وعنوانك وسوابقك ... هيا ، اجب .

– شابو ... جان جوزيف اميل شابو ، موظف ومقيم برقم ٥٢ شارع لالوا .

– اليس لك سوابق .

– كلا .

كانت الكلمات تخرج بصعوبة من حلق الشاب الجاف .

– وابوك ؟ .

– شابو ، اميل ، كاتب حسابات .

– الم يسبق الحكم عليه هو الآخر ؟ .

– ابدا .

– وامك ؟ .

– اليزابث دوين ، في الثانية والاربعين .

ولم يكن احد يصغى بعد ، فقد كانت هذه هى الناحية الادارية فى الاستجواب . واشعل القوميسير ذو الشارب الاحمر غليونه فى بطء ، ثم نهض ، وسار بضع خطوات جيئة وذهابا . وقال يسأل احدهم :

– هل اهتم احد بحادث الانتحـــــار الذى وقع فى رصيف كورنموز ؟ .

– ذهب جريبرت هناك .

– حسنا . اليك الآن ايها الشاب ... واذا اردت نصيحة طيبة فلا تحاول المكر ... انك كنت امس فى الجيه مولان بصحبة شاب يدعى دلفوس ، سوف نهتم به فيما بعد ... ولم يكن معكما ثمن مشروباتكما ، وكنتما مدينين بمشروبات الايام السابقة ... فهل هذا صحيح ؟ .

فتح جان شابو فمه ، ولكنه اطبقه من غير ان يقول شيئا .

– وابواك ليسا من الاثرياء ، وانت لا تكسب الكثير ... ولكنك تعيش مع ذلك حياة كلها مرح ولهو وفوق مستواك ... وعليك ديون كثيرة فى كل مكان تقريبا ... هل هذا صحيح ؟ .

اطرق الشـــاب براسه واستمر يحس بنظرات الرجال الخمسة مصوبة اليه .

وكانت لهجة القوميسير متســـامحة وتشوبهـا مسحة من الازدراء .

– وانت مدين حتى لبائع السجائر ... وكنت لا تزال مدينا له بالأمس ... وهذا امر معـــروف . شبان يريدون ان يحيوا حياة المجون ولا يملكون الوسائل . كم مرة سرقت نقـــودا من حافظة ابيك ؟ .

احمر وجه جان . كان هذا السؤال اشد وطاة من الصفع . وافظع ما هناك انه كان صحيحا وغير صحيح فى نفس الوقت .

والواقع ان كل ماذكره القوميسير كان صحيحا ، ولكن الحقيقة مصورة بهذه الصورة ، وبهذه الصورة الفجة ، دون اية ظلال ، كانت تبعد عن الحقيقة فعلا .

فقد كان شابو يتناول اقداح الجعة مع بعض الاصدقاء فى مقهى البليكان ، واعتاد على ذلك كل ليلة لان مقهى البليكان كان مكان اللقاء ولأنهم كانوا يخلقون جوا دافئا من الود والصداقة .

كانوا يتناوبون دفع المشروبات ، الواحـد بعـد الآخر ، وكانت المشروبات يتراوح ثمنها ما بين ستة وعشرة فرنكات يوميا .

وكانوا يقضون اوقاتا طيبة بعد مشقة المكاتب وارهاق العمل . وكان جان شابو بالذات يحلو له التواجد معهم بعد تعنيفات الكاتب الاول ، وكان مقهى البليكان افخم وارقى مقاهى ليبج ، يمتع الجالس فيه بمنظر المارة وهم يعبرون شـــارع بون دافروى ، وبمصـــافحة الأصدقاء وبالفتيات الحسان اللاتى كن يأتين احيانا ويجلس الى منضدتهن .

كانت ليبج كلها ملكا لهم عندئذ ! .

وكان دلفوس يدفع ثمن المشروبات اكثر من غيره لان مصروف جيبه كان اوفر منهم .

وكان الأمر اكثر اثارة وهم يختلفون الى الجيـه مولان بمقـاعده المخملية الحمراء وجـوه الثقيل الدافىء والمعطر بموسيقاه ، والفـة فيكتور ، ولا سيما الفة النساء ذوات الأكتاف العارية اللاتى يرفعن ثيابهن لشد جواربهن .

وشيئا فشيئا اصبح الأمر عادة وحاجة لا غنى عنهـا . ومرة واحدة .. مرة واحدة فحسب اخذ جان نقودا .. لا من ابيه ولـكن من الخزانة الصغيرة وذلك لأنه لم يشأ ان يترك الآخرين يدفعون له باستمرار ... وعوض الأمر بأن دون فى كشف المصروفات بأن الرسائل المسجلة تكلفت مبلغا اكبر ... وكان المبلغ كله لا يتجـاوز عشرين فرنكا .

ـ لم اسرق ابى ابدا .

ـ صحيح انه لا يملك الكثير لكى تسرقه . ولكننى اعود الى ليلة الأمس ... كنتما فى الجيه مولان معـا ... ولم يـكن معكما اية نقود ... ولكنكما قدمتما الشراب الى احدى الراقصات ... اعطنى سجائرك .

ناوله الشاب علبة سجائره دون أن يفهم . وقال القوميسير :

ـ سجائر ماركة لوكسور ... اهى نفس الماركة يا ديبوا ؟ .

ـ أجل .

ـ حسنا . فى البار رجل يبدو ثريا ويحتسى شمبانيا وحافظته محشوة .. وتخرجان انتما من الباب الخلفى ، وقد عثروا اليوم فى الدرج المؤدى الى القبو ، بجوار الباب الخلفى على عقبى سيجارتين وآثار اقدام تثبت انكما بدلا من الخروج من ذلك الباب حقا اختباتما فى القبو ... والرجل الأجنبى قتل ... اما فى الجيـه مولان او فى اى مكان آخر ... وسرقت حافظة نقوده ، كما سرقت علبة سجائره الذهبية ، واليوم تدفعان ديونكما ، وتحاولان حين احسستما بأن هناك من يتبعكما التخلص من اوراق البنكنوت فى المرحاض .

نطق القوميسير بكل هذا فى غير اكتراث كما لو كان لا يأخذ القضية ماخذ الجد والاهتمام تقريبا .

اما شابو فقد اخذ يحدق فى الارض مليا ، وكان يضغط على اسنانه بقوة بحيث لم يكن من المستطاع الفصل بينها الا بحد السلاح .

ـ اين هاجمتما جرافوبولاس ؟ .. فى الملهى ؟ .. او بعد ان خرج ؟ .

صاح جان فى صوت متحشرج :

ـ ليس هذا صحيحا ... اقسم لك براس ابى .

ـ دع اباك بعيدا عن هذه المسالة ... يكفيه ما ستسببه له من عذاب .

واثارت هذه الكلمات رعشة عصبية هزت كيان جان ، ونظر حوله فى ذعر . فهم موقفه الآن فقط وادرك انه لن تمضى ساعة او ساعتان الا ويعلم اهله بما حدث له . وصاح :

ـ هذا غير ممكن .. ليس هذا صحيحا ... لا اريد .

ـ رويدك ايها الفتى .

ـ لا اريد .. لا اريد .. لا اريد .

وارتمى فوق المفتش الذى يفصل بينه وبين الباب ، وكانت المعركة قصيرة ، فان الفتى لم يكن يعرف ما يريد حقا . كان قد فقد وعيه ، وراح يصرخ . وانتهى به الامر الى ان وقع على الارض وهو يئن ويتاوه ويلوى ذراعيه .

ونظر اليه الآخرون وهم يدخنون ويتبادلون النظرات .

ـ كوب ماء يا ديبوا ... من معه طباق ؟ .

والقى بالماء فى وجه شابو فتحولت ازمته العصبية الى ازمة دموع وحاولت اصابعه ان تنغرز فى حلقه .

ـ لا اريد ... لا اريد .

وهز القوميسير كتفيه وقال :

ـ كل هؤلاء الفتية القدرين سواء ... ويتعين على ان استقبل الام والاب بعد قليل .

وكان الجـو شبيها بجو المستشفى حيث يجتمع الأطبـاء حول مريض يغالب الموت .

فقد كانوا خمسة يحيطون بفلام ... خمسة رجال فى عنفوان العمر ، راوا الكثير فى حياتهم ولا يريدون ان يتاثروا بعد .

وقال القوميسير فى فروغ صبر :

ـ هيا انهض .

وامتثل شابو فى اذعان ، فقد تحطمت مقاومته . وحطمت الازمة أعصابه . ونظر حوله فى فزع كحيوان يتخلى عن مقاومته ونضاله .

ـ اتوسل اليـكم .

ـ بل قل لنا من اين اتيت بالنقود ؟ .

ـ لا ادرى ... اقسم لـكم ... اننى ...

ـ لا تقسم هكذا كثيرا .

كانت البذلة السوداء قد تمرغت فى التراب ، وعندما مسح وجهه بيديه القذرتين خطط صدغيه بخطوط سمراء .

ـ ان ابى مريض ... مريض بالقلب ... وقد اصيب بازمة فى العام الماضى ، واوصاه الطبيب بالابتعاد عن الانفعالات .

وكان يتكلم فى صوت ممل ... ويبدو كالمخبول .

ـ ما كان يجب ان ترتكب حماقات يا بنى ... ومن الخير لك الآن ان تتكلم ... من الذى قتل ؟ .. اهو انت ؟ .. ام هو دلفوس ؟ .. هذا شاب آخر فاسد واظنه اكثر منك فسقا وفجورا .

ودخل رجل آخر من رجال البوليس ، حيا الجميع فى مرح ومضى فجلس امام منضدة راح يقلب ملفا فوقها .

ـ وهكذا تسوء الامور ايها الشاب ... اعترف الآن فهذا خير ما يمكن ان تفعل ، وقد يكون ذلك فى صالحك فيخففون الحـكم عليك .

صليل جرس التليفون ... وسـكت الجميع فيمـا عـدا احد المفتشين ، فقد امسك بالسماعة وقال :

ـ الو ... نعم ... حسنا . قل له ان عربة الموتى ستصله بعد قليل .

واعاد السماعة مكانها وقال يخاطب الآخرين :

ـ انهم يتصلون بسبب الفتاة التى انتحرت ... فهم يتعجلون رفع الجثة .

ـ انا لم اقتل ... بل اننى لم اكن اعرف .

ـ حسنا ... لنفرض انك لم تقتل . ولكنك على الأقل تعرف شيئا ما ... فان النقود لم تات وحدها الى جيبك .. لم يكن معك شيء منها امس ... ومعك منها الكثير اليوم .. اعطوه مقعدا .

ذلك لانه راى شابو يتمايل ويترنح ولا يستطيع الوقوف ، وتهالك الشاب اخيرا واخذ راسه بين يديه .

ـ لا تتعجل الرد وفكر قبل ان تتكلم . قل لنفسك ان هذه هى افضل طريقة للخروج من ورطتك . ومهما يكن فانت لم تبلغ السابعة عشرة من عمرك بعد ، وستحاكم امام محكمة الاحداث ... والاصلاحية اقصى ما ينتظرك .

وطرات ببال شابو فكرة ، فنظر حوله بعينين مضطربتين . وراح ينقل بصره بين الموجودين ولم ير بينهم من يشبه الرجل العريض المنكبين .

اتراه اخطأ فيما يتعلق به ؟ ... اهو من رجال البوليس حقا ؟ .. الا يمكن ان يكون هو القاتل ؟ انه كان فى الجيه مولان بالأمس ، وبقى فيه بعد انصرافه .

واذا كان قد تبعهما ، افلا يمكن ان يكون ذلك محاولة منه لالقاء القبض عليهما بدلا منه .

وصاح يقول وهو يختلج بالأمل :

ـ اظن اننى افهم ... نعم . اظن اننى اعرف القاتل ... انه رجل طويل القامة قوى الجسم حليق الوجه .

هز القوميسير كتفيه . ولكن شابو لم يفقد الأمل وعاد يقول :

ـ انه دخل الجيه مولان عقب التركى تقريبا ... كان بمفرده ... وقد رايته اليوم ، وكان يتعقبنى ، وذهب الى بائعة الخضر يستعلم عنى .

تحول القوميسير الى نيرونيه وساله :

ـ ما هذا الذى يقول ؟ .

ـ لا ادرى بالضبط . ولكن الواقع انه كان فى الجيه مولان بالأمس زبون لا يعرفه أحد .

ـ ومتى خرج ؟ .

نظر القوميسير فى اهتمام الى شابو الذى داخله الأمل من جديد ثم لم يعد يهتم به ، فقد خاطب الآخرين قائلا :

ـ بالاختصار ، ما هو الترتيب الحقيقى لانصراف الجميع .

ـ انصرف الغلامان اولا ... أو هو انصراف كاذب على الأقل ، ما دام قد ثبت انهمـــا كانا مختبئين فى القبو ... وتلاهما الراقص والموسيقيون ... وحان موعد الغلق فانصرفت أديل ، وهى راقصة تعمل بالملهى ورافقها الرجل المذكور .

ـ وبذلك بقى صاحب البار وجرافوبولوس والساقيان .

ـ عفوا ... انصرف أحد الساقيين ، وهو المدعو جوزيف مع الموسيقيين .

ـ بقى اذن صاحب البار واحد الساقيين واليونانى ؟ .

ـ والغلامان فى القبو .

ـ وماذا يقول صاحب البار ؟ .

ـ ان زبونه خرج فى هـذه اللحظة فاطفـأ الأنوار هو وفيكتور واغلقا الأبواب .

ـ ولم ير أحد بعد ذلك الرجل الآخر الذى يتحدث عنه شابو ؟ .

ـ كلا . وقد وصفوه بانه رجل طويل القامة عريض المنكبين ... والمعتقد انه فرنسى الجنسية لانه لا يتكلم بلهجتنا .

تثاءب القوميسير ، وأبدى بعض القلق فى الطريقة التى افرغ بها غليونه ثم قال :

ـ اتصل بالجيه مولان تليفونيا وسل جيرار عما يدور به .

وانتظر شابو فى قلق . كان الأمر أشد فظاعة عن ذى قبل لانه كان هناك الآن بصيص من الأمل ولـكنه خشى ان يكون مخطئا .

كان هذا الخوف مؤلما ، وتقلصت يداه على حافة المنضدة ، وانتقلت عيناه من الواحد الى الآخر والى التليفون على الأخص .

ـ آلو ... الجيه مولان من فضلك يا آنسة .

وقال مفتش الفلايين يخاطب الآخرين :

ـ اتفقنا اذن ... هل اكتب الى صهرى ؟ .. وبهذه المناسبة ماذا تفضلون ؟ .. غلايين مستقيمة ام مقوسة ؟ .

أجاب القوميسير :

ـ مستقيمة .

ـ دستتان من الفلاحين اذن . ولكن ، قل لى ، هل انت بحاجة الى الآن ؟ .. ان ابنى مصاب بالحصبة وأريد أن ...

ـ يمكنك أن تنصرف .

والقى المفتش ، قبل أن ينصرف ، نظرة الى شابو ثم سأل رئيسه فى صوت خافت :

ـ هل نستبقيه .

وسمع الشاب السؤال فحاول ان يسمع الرد وهو متوتر الأعصاب .

ـ لا ادرى بعد . سنبقيه حتى الغد على كل حال ، وعلى النيابة أن تقرر ...

ضاع كل أمل ، وتراخت أعصاب جان شابو ، فهم اذا اطلقوا سراحه غدا يكون الوقت قد فات ، وسيعلم ابواه ، بل انهما ينتظران عودته فى هذه الساعة بالذات ولعلهما بدآ يقلقان .

ولكن لم يعد بوسعه ان يبكى ، فقد انهار كيانه ، وسمع الحديث التليفونى فى غموض :

ـ جيرار ؟ .. ماذا يفعل هناك اذن ؟ .. كيف ؟ .. مخمور حتى الموت ؟ .. نعم انه لا يزال هنا .. وهو ينكر طبعا ... انتظر ، ساسال الرئيس .

نظر الرئيس الى جان هو يتنهد ثم قال :

ـ لدينا احدهما الآن على الأقل ... كلا . فليدعه وشانه ... فربما ارتكب حماقة ما . ولكن على جيرار ان يتبعه كظله .. وما عليه الا ان يتصل بنا تليفونيا بعد ذلك .

***

جلس القوميسير على المقعد الوحيد بالغرفة واغمض عينيه وبدا انه ينام ، ولـكن خيط الدخان الذى يرتفع من غليونه كان يدل على العكس .

وكان احد المفتشين يعيد ترتيب اقوال جان شابو ، بينما راح آخر يمشى جيئة وذهابا ينتظر فى فروغ صبر ان تبلغ الساعة الثالثة لـكى يمضى وينام .

وازداد الجو برودة ، وبدا الدخان نفسه باردا . ولم ينم الشاب ، فقد تعقدت افكاره . واعتمد بمرفقيه على المنضدة وراح يطبق عينيه ويفتحهما ثم يطبقهما من جديد ، وكلما تفتحت عيناه كان يرى نفس المنظر دائما : ورقة مكتوبا عليها باللغة الانجليزية وبخط جميل .

محضر ضد السيد جوزيف ديموروا الصحفى والمقيم بفليمال هوت لاتهـامه بسرقة ارانب من المدعو ...

اما الباقى فقد اخفته ورقة نشاف .

صليل جرس التليفون ... واسرع المفتش الذى كان يمشى جيئة وذهابا فرفع السماعة .

نعم .. نعم .. مفهوم .. ساقول له .. انه سوف يقضى وقتا ممتعا .

واقترب من الرئيس وقال له :

ـ تكلم جيرار ... وهو يقول ان دلفوس والراقصة استقلا سيارة اجرة مضت بهما الى مسكن اديل بشارع ريجنس ، ودخلا معا ... وجيرار يقوم بالحراسة .

وفى الضباب الأحمر الذى يجتاح ذهنه تخيل جان غرفة اديل والفراش الذى رآه مشوشا والراقصة تتجرد من ثيابها وتشعل الموقد .

وسأله القوميسير دون أن يغادر مقعده :

ـ أليس لديك ما تقول الآن ؟ .

ولم يجب الشاب ، فلم تكن به القوة لكى يقول شيئا ، ولكنه ادرك بكل مشقة ان القوميسير انما يخاطبه هو .

وتنهد القوميسير وتحول الى المفتش وقال له :

ـ يمكنك أن تنصرف ... اترك لى قليلا من الطباق فحسب

ـ هل تظن انك ستصل معه الى شيء ؟ .

وأشار بعينه الى جان الذى انحنى فوق المنضدة وبدا انه غارق فى النوم .

وهز المفتش كتفيه من جديد .

أما جان فلم يكن نائما ، وانما أحس بفجوة فى ذهنه ... فجوة سوداء تعج بصورة مبهمة بومضات حمراء تخترقها كلها دون أن تضيء منها شيئا .

واعتدل فى جلسته وهو يسمع صليلا متتابعا . ورأى ثلاث نوافذ شاحبة ومصابيح مصفرة والقوميسير الذى يدعك عينيه ويمسك بحركة آلية غليونه المطفىء الموضوع فوق المنضدة ويتقدم بساقين متخدرتين نحو التليفون .

ـ آلو . نعم . آلو .. هنا ادارة الأمن .. نعم .. كلا يا صديقى .. انه هنا ... ماذا ؟ فليأت لكى يراه اذا كان يسره ذلك .

واشعل القوميسير غليونه ، وشد بضعة انفاس قبل أن يقف أمام جان ويقول له :

ـ هذا ابوك ، وهو يعلن قسم البوليس باختفائك .. واظن انه قادم .

وتسربت اشعة الشمس بقسوة من سطح مجاور واضاءت الزجاج فى حين اقبل عمال النظـافة ومعهم جرادلهم ومكانسهم لتنظيف المـكان .

وارتفعت ضجة مبهمة من السوق الذى يقع على بعد مائة متر ، امام دار البلدية ، وانطلقت أولى الترامواياات وهى تطلق اجراسها كما لو كان من مهمتها ايقاظ المدينة .

وغشيت عينا جان شابو ومر بيده على شعره فى بطء .

المواجهة

انقطع التنفس المبحوح فى نفس اللحظة التى فتح فيها دلفوس عينيه وانتصب جالسا على الفور ، والقى حوله نظرة مذعورة .

لم تكن ستائر الغرفة قد أسدلت ، وكان المصباح الكهربى لا يزال مضـــاء ، يمزج اشعته الصفراء بنور النهـــار ، وارتفع الضجيج والصخب يدلان على ان المدينة اصبحت تعج بالحركة والنشاط .

وسمع على كثب منه تنفسا عاديا . كانت اديل نائمة على صدرها وقد تجردت من نصف ثيابها ورأسها غارقة فى الوسادة ، وانبعثت من جسدها سخونة رطبة ، وكانت احدى قدميهـا تفوص فى المرتبة الحريرية وهى لا تزال بالحذاء .

كان رينيه دلفوس مريضا ، وكانت ربطة عنقه تكاد تخنقه . ونهض يبحث عن ماء ، ووجد الدورق ، وكان مملوءا ، ولكنه لم يجد اكوابا فشرب من الدورق فى شراهة ثم نظر الى المرآة .

كان ذهنه بطيئا ، والذكريات لم تكن تأتيه الا واحدة واحدة ، وكانت تتخللهـا ثغرات ، فهـو لم يذكر مثـلا كيف جاء الى هـذه الغرفة ، ونظر الى ساعته فاذا بهـا قد توقفت ، ولكن حركة الشارع فى الخارج كانت تشير الى ان الساعة التاسعة صباحا ، وكان البنك المواجه للبيت مفتوحا .

وقال ينادى لـكى لا يكون بمفرده :

ـ اديل .

وتحولت الراقصة وتقلبت على جنبها ولكنها لم تستيقظ .

ونظر اليها من غير اشتهاء ، ولعل لحم المراة الأبيض فى هـذه اللحظة بالذات قد اصابه بالتقزز والاشمئزاز .

وفتحت عينا ثم اطبقتها ونامت من جديد . وكلما استرد دلفوس وعيه ازداد انفعاله . ولم تتوقف نظرته الكثيرة الحركة فى مكان بالذات ، ومشى نحو النافذة ، وعرف على الرصيف المقابل مفتش البوليس الذى كان يروح ويغدو دون أن يفارق الباب بعينيه .

ـ اديل ، استيقظى بالله .

كان يشعر بالخوف ... خوف شديد . والتقط سترته من فوق الأرض وعندما ارتداها تحسس جيوبه بحركة آلية ، ولم يجد بها اى سنتيم .

وشرب من جديد ، وسقط الماء فى جوفه ثقيلا وبدون طعم . وآلمته معدته ، وحسب لحظة انه سيفرغ ما فى جوفه ، وود لو تم له ذلك لكى يستريح ، ولكن حتى هذا الأمر استعصى عليه .

وكانت الراقصة لا تزال نائمة ، وشعرها متهدل ووجهها يتالق .. نوم ثقيل بدا انها تغرق فيه بضراوة شديدة .

ولبس دلفوس حذاءه ، ورأى على المنضدة حقيبة صاحبته ، وعندئذ خطرت بباله فكرة ، ومضى الى النافذة ليتاكد من ان مفتش البوليس لا يزال بالخارج ، ثم انتظر حتى انتظمت انفاس اديل ففتح حقيبتها دون أن يصدر منه صوت ، ورأى بين اصبع الاحمر وعلبة البودرة وبعض الرسائل نحو تسعمائة فرنك دسها فى جيبه .

ولم تتحرك ، ومضى الى الباب على طرفى قدميه ، وهبط الدرج ، ولكنه بدلا من أن يخرج الى الشارع مضى الى الفناء ، وهو الفناء الخاص بمحل البقالة ، وكان مزدحما بالصناديق والبراميل ، وفتح الباب الخلفى الذى يؤدى الى شارع آخر يستخدم لانتظار العربات وسيارات النقل .

واضطر دلفوس أن يبذل مجهودا كبيرا لكى لا يجرى ، وبعد نصف ساعة كان قد بلغ محطة جيلمان وهو يتصبب عرقا .

***

ضغط المفتش جيرار على يد زميله الذى اقترب منه وقال :

ـ ماذا وراءك ؟ .

ـ يطلب منك القوميسير أن تاتيه بالشاب والراقصة ، وها امر الاحضار .

ـ هل اعترف الآخر ؟ .

ـ بل انه ينكر . أو بالحرى يروى قصة عن نقود سرقها صديقه من متجر شيكولاتة ، وابوه هناك ، وهو امر غير جميل .

ـ هل تاتى معى ؟ .

ـ لم يحدد الرئيس شيئا ولا ارى ما يمنع .

ودخلا المنزل معا ، وطرقا باب الغرفة . ولم يرد عليهما احد فادار المفتش اكرة الباب عندئذ وانفتح الباب . واستيقظت اديل فجاة كما لو انها احست بالخطر ، وقامت على مرفقيها وقالت فى صوت ناعس :

ـ من هذا ؟ .

ـ بوليس ، معى امر باحضاركما معا .

ـ ولكن عجبا ... اين ذهب الشاب ؟ .

وبحثت عنه ببصرها هى الاخرى وهى تدلى ساقيها من الفراش ، ودفعها نوع من الغريزة الى ان تبحث عن حقيبتها واسرعت اليهـا عندما راتها مفتوحة وفتشتها فى انفعال ثم صرخت :

ـ الوغد ! .. انه هرب بنقودى .

ـ أما كنت تعرفين انه انصرف ؟ .

ـ كنت نائمة . ولكنه سيدفع لى ذلك ... ارايت الى هؤلاء الانذال أولاد الذوات ! .

وكان جيرار قد راى علبة سجائر من الذهب على المنضدة فقال :

ـ لمن هذه ؟ .

ـ انه هو الذى اعطاها لى ... كانت فى يديه مساء امس .

ـ ارتدى ثيابك .

ـ اتلقون القبض على ؟ .

ـ معى على كل حال امر باستدعاء المدعوة أديل بوسسكيه التى تحترف مهنة الرقص ، واظن انها انت ؟ .

ـ هذا احسن .

لم يتملكها الخوف . لم يكن شغلها الشاغل فى هذه اللحظة القاء القبض عليها كما يبدو وانما السرقة والتى وقعت ضحية لها. وارتدت ثيابها وهى لا تفتأ تقول :

ـ الوغد ... وانا التى كنت انام فى هدوء .

تبادل رجلا البوليس النظر وهما يغمزان لبعضهما البعض ، وعادت تقول :

ـ هل سيحتجزوننى وقتا طويلا ، لاننى سآخذ معى بعض الثياب لاستبدالها اذا كان الأمر كذلك .

ـ لا نعرف شيئا على الاطلاق .. انما صدر الينا الأمر باحضارك .

هزت كتفيها وتنهدت قائلة :

ـ طالما انه ليس هناك ما الام .

ومضت نحو الباب وهى تقول :

ـ اننى انتظركما ... هل معكما عربة على الأقل ؟ كلا .... اننى افضل ان امشى وحدى اذن .. وما عليكما الا ان تتبعانى .

واغلقت حقيبتها فى غيظ واخذتها معها فى حين دس المفتش علبة السجائر فى جيبه .

وما ان الفت نفسها فى الخارج حتى مضت من تلقاء نفسها الى مكاتب البوليس ، ودخلتها فى غير تردد ، ولم تتوقف الا فى الطرقة الكبيرة ، فقال جيرار :

ـ من هنا ... لحظة واحدة . سأسأل الرئيس اذا ...

ولكنها لم تنتظر حتى يفرغ من قوله ، فدخلت ، وادركت الموقف من اول وهلة . ولا لاريب انهم كانوا ينتظرونها لانه لم يقع شىء . وكان القوميسير ذو الشعر الأحمر يسير فى الغرفة الواسعة جيئة وذهابا ، فى حين كان شابو يعتمد بمرفقيه على المكتب ويحاول ان

بأكل شطيرة جيء له بها . اما ابوه فكان واقفا فى ركن من الغرفة ، مطرق الرأس .

وقال الرئيس عندما راى اديل تدخل وبرفقتها جيرار :

ـ والآخر ؟ .

ـ هرب . ولا ريب انه انصرف من الباب الخلفى ، وطبقا لما تقول الانسة فانه اخذ ما فى حقيبتها من نقود .

ولم يجرؤ شابو على ان ينظر الى احد ، وكان قد القى شطيرته التى لم يكن قد قضم منها شيئا .

ـ يالهما من وغدين أيها القوميسير . هذا درس لى لكى لا اكون ظريفة مع اوغاد من هذا النوع .

ـ مهلا ، مهلا ... عليك ان تردى على اسئلتى فحسب .

ـ ولكنه اخذ كل مدخراتى .

ـ ارجوك ان تصمتى .

وكان جيرار يتكلم فى صوت خافت مع القوميسير ، وناوله علبة السجائر الذهبية :

ـ قولى لى اولا كيف جاءت هذه العلبة الى غرفتك ... اظن انك تعرفينها ، فقد قضيت الليلة الماضية مع جرافوبولوس ، وقد استخدم هذه العلبة ورآها اشخاص كثيرون . أهو الذى اعطاها لك ؟ .

نظرت الى شابو ثم الى القوميسير ، واجابت :

ـ كلا .

ـ اذن كيف انتهت اليك ؟ .

ـ دلفوس هو الذى اعطاها لى .

رفع شابو راسه فى حدة ، وأراد ان يندفع نحوها وبدا يقول :

ـ هذا غير صحيح ... انها ...

ـ هل لك ان تجلس ... تقولين يا آنسة ان هذه العلبة كانت مع رينيه دلفوس ؟ .. هل تدركين خطورة هذا الاتهام ؟ .

هتفت ساخرة :

ـ طبعا ... وهو قد سرق نقودى التى كانت فى الحقيبة .

ـ هل تعرفينه منذ وقت بعيد ؟ .

ـ ربما منذ ثلاثة شهور ، منذ أن بدأ يأتى كل ليلة الى الجيه مولان وبرفقته هذا المصفور ... أن هو وصديقه الا نذلين ، وكان يجب أن أتوخى الحذر معهما . ولكنك تعرف كيف تجرى الأمور . انهما غلامان وكنت أشعر بالهدوء حين أجالسهما واتحدث معهما ... كنت أعاملهما كصديقين ... وعندما كانا يقدمان لى كأسا كنت أحرص على تناول شىء معتدل الثمن .

وكانت النظرة التى ترتسم فى عينيها قاسية :

ـ هل كنت عشيقة للاثنين ؟ .

ضحكت ساخرة وقالت :

ـ ولا حتى هذا ... لا ريب انهما كانا يتمنيان ذلك ، ولكنهما يدوران ويلفان حول الموضوع دون أن يجرؤ أحدهما على الافصاح .. كانا يأتيان الى غرفتى ، كل منهما على حدة ، بشتى المعاذير لكى يريانى وأنا أرتدى ثيابى .

ـ وفى ليلة الجريمة ، هل شربت شمبانيا مع جرافوبولوس ؟ .. هل اتفقتما على أن تلحقى به بعد السهرة ؟ .

ـ من تظننى ؟ ... اننى راقصة .

ـ بل ساقية زبائن بالأحرى .. ونحن نعرف ذلك .. هل انصرفت معه ؟ .

ـ كلا .

ـ هل راودك عن نفسك ؟ .

ـ نعم ولا . قال لى ان الحق به فى فندقه ، ولا أدرى أين بالذات ، فاننى لم ألق اليه أى اهتمام .

ـ ولكنك لم تنصرفى وحدك .

ـ هذا صحيح ، ففى اللحظة التى بلغت فيها الباب سألت زبون

آخر ، لا أعرفه ، وأعتقد انه فرنسي ، أين يقع ميدان سان لامبير ، فقلت له انني سأمضي الى هذه الناحية ، ورافقني جزءا من الطريق ثم قال لي فجأة :

« آه ، انني نسيت كيس طباقي في البار » .

ثم استدار وعاد ادراجه .

ـ أهو رجل قوي الجسم ؟ .

ـ نعم .

ـ وهل عدت الى البيت مباشرة ؟ .

ـ كما افعل كل ليلة .

ـ ولم تعلمي بالجريمة الا من الجرائد في صباح اليوم التالي ؟ .

ـ كان هذا الشاب عندي ، وهو الذي ...

وكان شابو قد حاول التدخل مرة او مرتين ، ولكن القوميسير كان يهدئه بنظرة . أما الأب فكان لا يزال واقفا في نفس المكان .

ـ أليست لديك اية فكرة عن هذه الجريمة ؟ .

لم تجب على الفور ، فعاد يقول :

ـ تكلمي . ان شابو قد اعترف الآن انه اختبأ هو وصديقه في تلك الليلة في الدرج المؤدي الى القبو بالجيه مولان .

ضحكت هازئة ، واستطرد القوميسير :

ـ وهو يزعم انهما انما كانا يريدان سرقة النقود التي كانت في الدرج ، وانهما عندما عادا الى القاعة بعد ربع ساعة تقريبا من القتل رأيا جثة جرافوبولوس ...

ـ يا لها من مزحة عجيبة ! .

ـ من الذي كان في مقـــدوره ان يرتكب الجريمة في رأيك ؟ انتظري . اننا نجد انفسنا أمام عدد محدود من الجنـاة المحتملين . أولا ، جينارو ، صاحب الملهى ، وهو يزعم انه انصرف بعدك على الفور بصحبة فيكتور ، ويؤكد ان جرافوبولوس كان قد انصرف قبل ذلك .

هزت كتفيها بينما كان شابو ينظر اليها فى قسوة وتوسل فى وقت واحد .

ـ ألا تعتقدين فى جرم جينارو وفيكتور ؟ .

قالت فى غير مبالاة :

ـ هذا غباء .

ـ يبقى أمامنا الزبون المجهول الـذى تزعمين انه رافقـك بضع لحظات . لعله عاد ادراجه ، بمفرده او معك ...

ـ وكيف يستطيع الدخول ؟ .

ـ انت فى المحل منذ وقت طويل ، ولا ريب أنك حصلت على مفتاح زائف .

هزت كتفيها من جديد وقالت :

ـ هذا لا يمنع من أن علبة السجائر كانت مع دلفوس ، وانه هو الذى كان مختبئا .

صاح شابو :

ـ هذا كذب . كانت العلبة عندك ، فى غرفتك ، فى ظهر اليوم التالى . اننى رايتها واقسم على ذلك .

عادت تقول :

ـ انه دلفوس ..

ولم يلبث ان حدث هرج ومرج شـديدين قطعهما قدوم شرطى تحدث الى القوميسير فى صوت خافت فقال له هذا الأخير :

ـ دعه يدخل .

ودخل رجل بورجوازى فى نحـو الخمسين من عمره له كرش تعترضه سلسلة ضخمة فى آخرها ساعة فى جيب صديره . وكان يحـاول ان يكون وقورا ورزينا ، وبدأ يقول وهو ينظـر حوله فى دهشة :

ـ قيل لى ان آتى .

واسرع القوميسير يقاطعه قائلا :

ـ اهـذا انت يا مسيو لازنييه ؟ .. تفضل بالجلوس . التمس معذرتك لازعاجي اياك ، ولكنني اريد ان اعلم اذا لم تكن قد لاحظت امس بان هناك نقودا ناقصة من درج النقود بمتجرك .

اتسعت عينا تاجر الشيكولاتة لفرط الدهشة وعاد يقول :

ـ درج النقود ؟ .

ونظر مسيو شامبو اليه فى قلق كما لو ان جوابه سيكون فيه فصل الخطاب فى القضية .

ـ لو ان احدا اخذ منه الفى فرنك مثلا فهل نلاحظ ذلك ؟ .

ـ الفا فرنك ؟ .. الحق اننى لا افهم .

ـ لا اهمية لذلك . اجب على سؤالى . هل لاحظت عجزا فى دخل الامس ؟ .

ـ ابدا .

ـ هل جاء ابن اختك لزيارتك امس ؟ .

ـ انتظر ... نعم . اظن انه جاء ، كما يحدث له من وقت لآخر .. وان كانت رغبته فى ان يأخذ ما يريد من شيكولاتة اكثر من رغبته فى رؤيتى .

ـ الم تلاحظ ابدا ان ابن اختك يسرق نقودا من الدرج ؟ .

ـ سيدى ! .

ارتسمت امارات السخط على وجه تاجر الشيكولاتة ، وبدا انه يستشهد بالآخرين للاهانة التى لحقت باسرته .

ـ ان صهرى من الثراء بحيث يعطى لابنه كل ما يحتاج اليه .

ـ التمس المعذرة يا مسيو لازنييه ... اننى اشكرك .

ـ اهذا كل ما كنت تريدنى ؟ .

ـ نعم ... كل ما اردت ان اسالك اياه .

ـ ولكن ما الذى يحملك على الظن ؟ ..

ـ لا استطيع ان اقول لك شيئا فى الوقت الحاضر ... جيرار ... رافق مسيو لازنييه .

وعاد القوميسير يمشى جيئة وذهابا فى حين سالته اديل فى وقاحة :

ـ اما زلتم بحاجة الى هنا ؟ .

نظر اليها بطريقة معبرة بما فيه الكفاية لكى يسكتها .. وخيم الصمت مدة عشر دقائق . ولا ريب انهم كانوا ينتظرون شخصا ما او شيئا ما . ولم يجرؤ مسيو شابو على التدخين ، وكذلك لم يجرؤ على النظر الى ابنه . كان يقف مرتبكا جدا كزبون فقير فى غرفة استقبال طبيب كبير .

اما جان فراح يتابع القوميسير بعينيه فى كل مرة يمر فيها بجواره ، ويود لو ان يتحدث اليه .

واخيرا تناهى الى الاسماع وقع خطوات فى الطرقة وطرقات على الباب .

ـ ادخل .

ودخل رجلان ... جينارو ، تصير القامة وبدين الجسم ، يرتدى بذلة فاتحة مخططة ، وفيكتور . ولم يكن شابو قد رآه قبل ذلك ابدا فى ثياب الخروج ، فقد كان يرتدى بذلة سوداء ويبدو كما لو كان من رجال الدين .

وبدأ الايطالى يقول فى ذلاقة :

ـ جاءنى امر الاستدعاء منذ ساعة و ...

ـ اننى اعرف ... اننى اعرف ... ارجو ان تتكرم وتخبرنى اذا كنت قد رايت فى الليلة الماضية علبة سجائر جرافوبولوس بين يدى رينيه دلفوس ؟ .

انحنى جينارو انحناءة كبيرة لكى يعتذر وقال :

ـ انا شخصيا ، لا اهتم كثيرا بامر الزبائن ، ولكن فى مقدور فيكتور ان يقول لك .

ـ حسنا ، تكلم انت اذن .

حدق جان شابو فى عينى الساقى . كان يتنفس فى شدة . ولكن فيكتور خفض جفنيه بطريقة متزلفة وقال :

ـ لا أريد أن أسىء الى موقف هذين الشابين ، فقد كانا ظريفين معى . ولكن أظن أنه يجب ان أقول الحقيقة ، اليس كذلك ؟ .

ـ أجب بنعم أو لا .

ـ حسن اذن ... نعم ، كانت معه ... بل أننى نصحته ان يتوخى الحذر .

صاح جان محنقا :

ـ عجبا .. هذا كثير .. الا تخجل من نفسك يا فيكتور .. اسمع يا سيدى القوميسير ..

ـ اسكت .. قل لى الآن الموقف المالى لهذين الشابين .

بدا الضيق على فيكتور ، وتنهد كما لو كان على مضض ، وقال :

ـ كانا يدينان لى دائما ببعض النقود ... وليس ثمن المشروبات فحسب ... وانما كان يحدث لهما أن يقترضا منى مبالغ صغيرة .

ـ ما الانطباع الذى احدثه جرافوبولوس فى نفسك ؟ .

ـ رجل ثرى عابر ... وهذا النوع من خيرة الزبائن ... طلب شمبانيا على الفور دون ان يسأل عن الثمن . واعطانى خمسين فرنكا بقشيشا .

ـ ورأيت فى حافظته أوراقا كثيرة من فئة الألف فرنك ؟ .

ـ نعم . كانت الحافظة محشوة .. وبأوراق بنكنوت فرنسية على الخصوص .. لم أر فيها نقودا بلجيكية .

ـ أهذا كل ما لا حظته ؟ .

ـ كانت فى ربطة عنقه لؤلؤة جميلة جدا .

ـ فى أية لحظة انصرف .

ـ بعد أديل بقليل ، وقد انصرفت هذه برفقة زبون آخر ، وهو رجل ضخم الجسم لم يشرب غير الجعة واعطانى ربع فرنك بقشيشا ... رجل فرنسى ... كان يدخن غليونا .

ـ وهل بقيت وحدك مع صاحب البار ؟ .
ـ ريثما اطفأنا الأنوار واغلقنا الباب .
ـ وهل عدت راسا الى بيتك ؟ .
ـ كما هي عادتي دائما . فارقني مسيو جينارو في شارع هوت سوفينيير حيث يقيم .
ـ وعندما مضيت الى عملك في الصباح الم تلاحظ اية فوضى في القاعة ؟ .
ـ لم يكن هناك اي شيء غير عادي ... ولم يكن هناك دم في اي مكان .. كانت عاملات النظافة هناك ، ووقفت اراقبهن .
وكان جينارو يصغي بأذن شاردة كما لو ان الأمر لا يهمه اطلاقا ، وخاطبه القوميسير قائلا :
ـ أصحيح انك تترك حصيلة اليوم في درج النقود ؟ .
ـ من قال لك هذا ؟ .
ـ لا أهمية لذلك . أجب على السؤال .
ـ أبدا ... انني آخذ النقود معي فيما عدا القطع الصغيرة .
ـ اي ؟ .
ـ خمسون فرنكا في المتوسط اتركها في الدرج .
صاح جان شابو يقول على الفور :
ـ هذا غير صحيح ... رايته عشر مرات ، بل عشرين مرة يخرج من غير أن ...
تحول جينارو اليه وقال :
ـ كيف هذا ؟ .. أهو الذي يزعم انني ...
وبدت عليه دهشة حقيقية ، وتحول الى الراقصة وقال :
ـ ستقول لك اديل ...
ـ بكل تأكيد .
ـ ان ما لا افهمه مثلا هو كيف يستطيع هذان الشابان ان يؤكدا انهما رايا الجثة داخل الملهى ... ان جرافوبولوس انصرف قبلي ،

ولم يستطع أن يعود ، والجريمة ارتكبت فى الخارج ، ولا ادرى اين. ويؤسفنى ان اتكلم بلهجة قاطعـــة هكذا فانهما ايضا من الزبائن ، بل اننى كنت اكن نحوهما شيئا من الود والحب ... واصدق دليل على ذلك هو اننى كنت اقدم لهما الشراب واسمح لهما بسداد قيمته فيما بعد ، ولكن الحقيقة هى الحقيقة ، وهى القضية من الخطورة بحيث ...

ـ اشكرك .

وسادت لحظة من التردد . وقال جينارو يسال اخيرا :

ـ هل استطيع ان انصرف ؟ .

ـ انت والساقى ، نعم . واذا احتجت اليكما فيما بعد فساتصل بكما .

ـ ليس هناك اعتراض على ان يبقى الملهى مفتوحا ؟ .

ـ ليس هناك اى اعتراض .

وسالته اديل بدورها :

ـ وانا ؟ .

ـ عودى الى بيتك .

ـ انا مطلقة السراح ؟ .

لم يرد القوميسير . كان شديد القلق ، وكان يداعب محرق غليونه باصرار . وعندما خرج الاشخاص الثلاثة احس بالفراغ .

لم يعد هناك غيره هو وجان شابو وابوه . ولزم الجميع الصمت .

وكان مسيو شابو اول من قطع حبل الصمت. كان قد تردد كثيرا . واخيرا سعل وبدا يقول :

ـ التمس المعذرة ... ولكن هل تعتقد حقا ؟ ...

ـ لا ادرى .. يخيل لى ..

واتى باشارة ينهى بها رايه الغامض .. حركة غامضة تعنى « يخيل لى ان هناك فى كل هذا شيئا غير جلى ... غير جلى تماما ... شيئا غامضا » .

وكان جان قد نهض ، وكان قد استرد بعضا من قوته ، وجرؤ على النظر الى ابيه ، وقال فى وضوح :

ـ انهم جميعا يكذبون ، واقسم لك على هذا ... هل تصدقنى انت ايها القوميسير .

لا جواب .

ـ هل تصدقنى يا ابى .

بدا مسيو شابو يحول راسه ثم تمتم :

ـ لا ادرى .

واستمع اخيرا الى صوت العقل فقال :

ـ ان ما يجب ان نبحث عنه هو الفرنسى الذى تتحدثون عنه .

ولا ريب ان القوميسير كان مترددا لانه راح يمشى فى خطوات سريعة تدل على ما يعانيه من غيظ وحنق . وزمجر يقول يحدث نفسه اكثر مما يحدث الآخرين .

ـ لقد اختفى دلفوس على كل حال .

وراح يمشى مرة اخرى ثم استطرد بعد قليل :

ـ ويؤكد شاهدان ان علبة السجائر كانت معه .

واستانف سيره وهو يتابع فكرته :

ـ وكنتما فى القبو معا ، والليلة حاولتما التخلص من اوراق نقد من فئة المائة فرنك فى المرحاض و ...

وامسك ، ونقل بصره من الواحد الى الآخر .

ـ وحتى تاجر الشيكولاتة يقول ان ابن اخته لم يسرق منه شيئا .

وخرج تاركا الاب والابن وحدهما ، وجها لوجه . ولكنهما لم ينتهزا هذه الفرصة . وعندما عاد كل منهما مكانه ؛ وبينهما مسافة خمسة امتار ، يلزمان صمتا مطبقا .

ـ خرج الامر من يدى ، فقد تكلمت فى التليفون مع قاضى التحقيق ، وهو الذى بيده ادارة التحقيق ، ويرفض ان اطلق سراح

ابنك مؤقتا . اذا كنت تريد أن تقدم التماسا تقدمه الى قاضى التحقيق كونيك .

ـ فرانسوا ؟ .

ـ أظن ان هذا هو اسمه .

وتمتم الأب يقول فى صوت خافت يشوبه الخجل :

ـ كنا معا فى الكلية .

ـ اذهب اليه اذن ، اذا كنت تظن انه يستطيع أن يخدمك . ولكننى أشك فى ذلك لأننى أعرفه . وفى انتظار ما يسفر عنه التحقيق أرى ان ارسل ابنك الى سجن سان ليونار .

وكان للعبارة الأخيرة رنين مشئوم ، فقد كان معناها أنه لم يكن هناك حتى الآن شىء محدد .

سجن سان ليونار .. ذلك المبنى الفظيع الأسود الذى يشوه الحى كله ، أمام جسر مانجان ، بأبراجه التى يرجع العهد بها الى العصر المتوسط ، وشبابيكه الصغيرة وقضبانه الحديدية الضيقة .

ولزم الصمت وقد ازداد وجهه شحوبا .

وقال القوميسير وهو يفتح بابا :

ـ جيرار ... خذ شرطيين ، والعربة .

وكان فى هذه الكلمات الكفاية . ووقف الجميع ينتظرون . وتنهد القوميسير وقال اخيرا لكى يقول شيئا :

ـ لن تخسر شيئا ، اذا أنت ذهبت الى مسيو كونيك ، وما دمت تقول انكما كنتما معا فى الكلية ...

ولكن كانت ملامح وجهه تدل دلالة قاطعة على ما يدور فى ذهنه ، فقد كان يقيس بينه وبين نفسه الفارق بين القاضى ، ابن القضاة ، والذى ينتمى الى أشهر عائلات المدينة وبين المحاسب الذى اعترف ابنه بالذات بأنه كان ينوى سرقة حصيلة النقود بأحد الملاهى الليلية .

وأقبل المفتش جيرار فى هذه اللحظة وقال :

ـ تم اعداد كل شيء ايها الرئيس ، فهل ينبغى ...

كان هناك شيء يلمع فى يديه . وهز القوميسير كتفيه بالايجاب .

وكانت حركة عادية سريعة لم يفطن اليها الأب الا بعد أن انتهت فقد امسك جيرار بيدى الشاب ، وسمعت قرقعة ثم قال :

ـ من هنا .

الاصفاد ! وشرطيان بزيهما الرسمى فى الخارج ، ينتظران بجوار عربة .

وتقدم جان خطوات كثيرة ، وخيل للجميع انه سيخرج دون ان يقول شيئا ، ولكنه ما ان بلغ الباب حتى التفت وقال فى صوت خافت يكاد لا يسمع :

ـ اقسم لك يا أبى .

ـ قل لى .. بخصوص الفلايين ، خطر لى هذا الصباح اننا اذا طلبنا ثلاث دست ...

كان الذى تحدث هو مفتش الفلايين ، وكان قد دخل دون ان يرى شيئا . وتبين اخيرا ظهر الشاب ومد يديه وبريق الاصفاد ، ورأى انه قطع الحديث فقال :

ـ آه ... هل فرغت منه ؟ .

واشار القوميسير الى مسيو شابو ، وكان قد جلس واخذ راسه بين يديه وراح يبكى كالمرأة .

واستطرد الآخر يقول فى صوت خافت :

ـ سنستطيع ان نبيع الدستة الثالثة فى الاقسام الاخرى ، فان ثمنها رخيص ...

صوت باب يصفق ثم صرير عجلات تسير .

وقال القوميسير يحدث مسيو شابو فى ارتباك :

ـ ولكن ... ليس هناك شيء محدد بعد .

كان يكذب .

ـ وخصوصا اذا كنت صديقا لمسيو دى كونيك .

وارتد الاب الى الوراء وابتسم ابتسامة شكر شاحبة .

الفصل السادس

الهارب

ظهرت الجرائد المحلية بعد ساعة واحدة وفى صفحاتها الأولى العناوين الضخمة المثيرة . وظهرت جريدة جازيت دى ليبج وفى صفحتها الأولى هذا العنوان :

قتيل الحقيبة الخيزران .

غلامان فاسقان يرتكبان الجريمة .

أما جريدة لا والونى الاشتراكية فقد صدرت بهذا العنوان :

جريمة فتيين بورجوازيين .

ونشرت نبأ القاء القبض على جان شابو وهروب دلفوس . ونشرت صورة لبيت شارع لالوا ، وجاء فى النبأ ما يأتى :

... وعقب الحديث المؤثر الذى دار بين مسيو شابو وابنه فى مكاتب ادارة الأمن اعتكف مسيو شابو فى بيته ورفض الادلاء بأى تصريح ، أما مدام شابو فقد هزتها الصدمة واعتلت صحتها .

***

... وقد تمكنا من مقابلة مسيو دلفوس عند عودته من هوى حيث تقع مصانعه ، وهو رجل نشيط فى نحو الخمسين من العمر ، ذو نظرة صاخبة لا يحجبها شىء فى أية لحظة ، وقد تلقى النبأ بشجاعة وهو لا يؤمن بجرم ابنه ويعلن عن نيته فى الاهتمام بهذه القضية بنفسه .

***

... وقد قيل لنا أن جان شابو هادىء جدا فى سجن سان ليو ناد وأنه ينتظر زيارة محاميه قبل مثوله أمام قاضى التحقيق كونيك الذى أنيطت به القضية .

وكان شارع لالوا هادئا كعادته ، والأطفال يدخلون حوش المدرسة حيث يلهون ويمرحون قبل بدء الدراسة .

وقد نبتت بين بلاط الشارع بعض الأعشاب ، وكانت هناك امراة أمام باب البيت رقم ٤٨ تغسل عتبة بيتها بفرشاة من النجيل .

والشارع لا حس فيه غير صوت الطرقات المتباعدة على سندان الحداد .

ولكن أبواب البيوت كانت تفتح اكثر من المعتاد ، وكان بعضهم يطل برأسه ويلقى بنظرة الى البيت رقم ٥٣ ، ويتبادل الجيران بضع كلمات فيما بينهم :

ـ هل يمكن أن يكون قد فعل هذا حقا ؟ .. انه لا يزال غلاما .. عندما أنكر انه منذ وقت قصير جدا كان لا يزال يلعب على الرصيف مع أولادى .

ـ كنت اقول ذلك لزوجى عندما رايته يعود مرتين وهو مخمور .. مع انه لا يزال فتى صغيرا .

وكان الجرس يرن كل ربع ساعة تقريبا فى بيت شابو ، وكانت الطالبة البولونية هى التى تفتح الباب ، وكانت تقول فى لكنة اجنبية ظاهرة :

ـ مسيو ومدام شابو غير موجودين .

ـ جريدة جازيت دى لييج ... هل لك ان تقولى لهما .

وكان الصحفى يمد عنقه بكل قواه محاولا ان يرى شيئا بالداخل . وكان يميز المطبخ فى غموض . وظهر رجل جالس ، ولكن البولونية كانت تقول :

ـ لا تتعب نفسك ... انهما غير موجودين .

ـ ومع ذلك ...

وكانت تغلق الباب ، ويكتفى الصحفى عندئذ باستجواب الجيران .

ونشرت احدى الجرائد عنوانا اثار جانبا آخر من القضية وهذا نصه :

« اين الرجل العريض المنكبين » .

وجاء تحت هذا العنوان المقال التالى :

« يبدو ان الجميع يؤمنون حتى الآن بجرم دلفوس وشابو ، ولسنا نريد ان ندافع عنهما ولكننا اذا اعتمدنا على موضوعية الحقائق فان هناك حقيقة واحدة تثير دهشتنا ، وهى اختفاء شاهد على جانب كبير من الأهمية ، ونعنى به الرجل العريض المنكبين الذى تواجد ببار الجيه مولان ليلة الجريمة .

« فانه يتضح من أقوال ساقى البار ان ذلك الرجل فرنسى الجنسية وانه رؤى لأول وآخر مرة فى تلك الليلة ، فهل تراه غادر المدينة ؟ وهل يفضل أن لايستجوبه رجال البوليس .

« لعله لابد من الاهتمام بهذا الأثر ، واذا صح وكان الغلامان بريئين فلا ريب ان الضوء سيأتى من هذه الناحية .

« وعلى كل حال فاننا نظن اننا نعرف ان القوميسير دلفين الذى يباشر التحقيق متعاونا مع قاضى التحقيق قد اصدر الى فرقة البوليس الخاصة بالغرف المفروشة والى شرطة الأمن العام اوامره المشددة للعثور على هذا الزبون الغامض الذى اختلف الى بار الجيه مولان فى الليلة التى قتل فيها جرافوبولوس ...

ظهرت الجريدة المذكورة قبيل الساعة الثانية بقليل ، وفى الساعة الثالثة اقبل الى ادارة الأمن رجل بدين له كرش وغدد فى صدغيه وطلب مقابلة القوميسير دلفين وقال له :

ـ انا صاحب فندق مودرن بشارع بون دافروى ، وقد قرات الجرائد واظن اننى استطيع اقدم لكم بعض المعلومات عن الرجل الذى تبحثون عنه .

ـ اتعنى الفرنسى ؟ .

ـ نعم ، وعن القتيل كذلك ، وانا لا اهتم بما تنشره الجرائد ، وهذا

هو السبب فى اننى ادركت فى وقت متاخر انه يجب ان اخبركم بما اعرف ... نحن الآن فى يوم الجمعة ، وعلى هـذا فان الجـريمة ارتكبت يوم الاربعاء ، اليس كذلك ؟ .. لم اكن هنا فى ذلك اليوم ، فقد ذهبت الى بروكسل لبعض اعمالى ، وقد جاء الى الفندق رجل يتكلم بلكنة اجنبية ، ولم يكن معه من متاع غير حقيبة صغيرة من جلد الخنزير ... وطلب غرفة كبيرة تطل على الشارع ، وصعد اليها على الفور . وبعد بضع دقائق جاء رجل آخر ونزل فى غرفة مجاورة .

« ونحن عادة نملأ البطاقة الخاصة بالنزلاء عند قدومهم ، ولا ادرى لماذا تغير الحال هذه المرة ، وقد عدت من السفر فى منتصف الليل والقيت نظرة على لوحة المفاتيح وسألت الموظفة :

ـ هل معك البطاقات ؟ .

ـ نعم ، فيما عدا بطاقتى الرجلين فقد خرجا على الفور بعـد قدومهما .

وفى صباح يوم الخميس عاد أحد الرجلين ، ولم اهتم بالرجل الآخر معتقدا انه ربما قضى الليل مع احدى الحسان .

ولم التق بذلك الرجل اثناء النهار ، وقيل لى هذا الصباح انه سدد حسابه ورحل .

وعندما طلبت منه الموظفة ان يملأ البطاقة الخاصة به هز كتفيه متمتما انه ليست هناك ضرورة لذلك .

وساله القوميسير عندئذ :

ـ معذرة ... هل تنطبق اوصاف هذا الرجل على ذى المنكبين العريضين .

ـ نعم ... وقد رحل ومعه حقيبته فى نحو الساعة التاسعة .

ـ والآخر ؟ .

ـ عندما رايت انه لم يعـد دفعنى الفضول الى دخـول غرفته مستخدما المفتاح المزدوج الذى احتفظ به لـكل الغرف المواجهة الحالات العاجلة ، وقرات على الحقيبة الجلدية هذا الاسم المحفور

« اترايم جرافوبولوس » وعرفت عندئذ انه هو نفس الرجل الذى وجدت جثته فى الحقيبة الخيزران .

ـ افهم من قولك هذا انهما جاءا بعد ظهر يوم الاربعاء قبل وقوع الجريمة ببضع ساعات ، احدهما خلف الآخر ، كما لو كانا قد اقبلا فى نفس القطار ؟ .

ـ نعم ... سريع باريس .

ـ وخرجا فى المساء ، الواحد خلف الآخر ؟ .

ـ دون ان يملأ اى منهما بطاقته .

ـ وعاد الأول وحده واختفى صباح اليوم ؟ .

ـ هو ذلك ، واود اذا امكن ان لا يذاع اسم الفندق فان روادى قد لا يحبون ذلك .

ولكنه لم يعرف ان احد موظفيه كان فى هذه الساعة بالذات يذكر نفس القصة لاحد الصحفيين ، وفى الساعة الخامسة صدرت جرائد المساء وفيها هذا النص .

« التحقيق يتخذ مجرى جديدا ... ايكون الرجل العريض المنكبين هو القاتل ؟ .

وكان يوما جميلا ومضت الحياة فى طريقها فى شوارع المدينة المشمسة ، وحاول الشرطة فى كل مكان تقريبا التعرف على الفرنسى بين المارة ، وفى المحطة كان يقف خلف كل موظف بشباك التذاكر مفتش بوليس يتفحص المسافرين بكل دقة .

وفى شارع بودور ، كانت عربة نقل كبيرة تقف امام بار الجيه مولان وتفرغ حمولتها من صناديق الشمبانيا حيث تنقل الى القبو عبر الصالة التى يسودها ظل من الرطوبة ، وكان جينارو يشرف على العملية وهو بالقميص ، وسيجارته بين شفتيه ، وكان يهز كتفيه حين يرى بعض المارة يقفون ويتهامسون : هنا وقعت الجريمة .

وكانوا يحاولون رؤية ما يجرى بالداخل ، فى تلك العتمة التى لم

يكن باستطاعتهم ان يميزوا شيئا خلالها اكثر من المقـــاعد المخملية والمناضد الرخامية .

وفى الساعة التاسعة اضيئت الانوار ، وبدأ الموسيقيون يعزفون على آلاتهم ، وفى التاسعة والربع كان يجلس بالبار ستة من الصحفيين يتبادلون الحديث فى اهتمام كبير .

وفى التاسعة والنصف كانت الصالة قد امتلأت الى النصف ، ولم يكن هذا ليحدث الا مرة فى العالم . لم يكن هناك كل الشباب الذى يختلف الى علب الليل والمراقص فحسب ، وانما كان هنـاك اشخاص جادون يضعون اقدامهم لاول مرة فى مكان مشبوه ، فقد استبد بهم الفضول وارادوا رؤية مسرح الجريمة ، ولم يحاول احد ان يرقص ، كانوا ينقلون بصرهم على التوالى من صاحب البار الى فيكتور والى الراقص المحترف . وكان البعض يمضون من وقت لآخر الى دورة المياه لمشاهدة الدرج الشهير المؤدى الى القبو .

وقال جينارو للساقيين اللذين ارهقهما العمل : اسرعا .... اسرعا .

ـ الم ترى اديل ؟ ... انها تأخرت .

لان اديل كانت النمرة الهامة ، وكان الفضوليون يريدون رؤيتها باللذات عن كثب .

وهمس احد الصحفيين فى اذن زميل له :

ـ انتبه ... انهما هنا .

واشار الى رجلين يجلسان الى مائدة قريبة من الباب ، همـــا القوميسير دلفين والمفتش جيرار ، وكان الاول يحتسى قدحا من البيرة علقت رغوتها بشاربه الاشقر فى حين راح المفتش يتفحص وجود الحاضرين .

وفى الساعة العاشرة كان للجو طابعه الخاص ، فلم يعد الجيه مولان كما كان العهد به مع القلة من رواده العاديين والمسافرين الذين يأتون ينشدون صحبة امراة لقضاء السهرة معها .

وبدا المكان بوجود الصحفيين بالذات كما لو كانت ساحة محكمة اثناء احدى المحاكمات الشهيرة وكما لو كانت حفلة ساهرة فى نفس الوقت .

كان نفس الأشخاص موجودين ، وليس الصحفيون فحسب وانما النقاد ورجال الأدب . واقبل مدير احدى الجرائد بنفسه ثم كل الذين من عادتهم التواجد فى المقاهى الكبرى وطلاب الملذات كما يقولون فى الأرياف ، والحسان الجميلات .

وفى الشارع ، كانت هناك نحو عشرين سيارة . وراحوا يتبادلون التحية من مائدة الى اخرى واخذوا ينهضون لكى يتصافحون .

– هل سيقع شيء ما ؟ .

– صه ... لا ترفع صوتك هكذا . ان الرجل الأحمر الجالس هناك هو القوميسير دلفين ، واذا كان قد انتقل بنفسه فذلك لأنه ...

– ومن هى أديل ؟ .. أهى هذه الشقراء السمينة ؟ .

– انها لم تأت بعد .

واقبلت أديل فى هذه اللحظة ، واحدث قدومها تأثيرا كبيرا بين الموجودين . وكانت ترتدى معطفا فضفاضا من الساتان الأسود مبطن بالحرير الأبيض ، وتقدمت بضع خطوات فى بادىء الأمر ثم وقفت ونظرت الى الجماعة ثم مضت فى غير اكتراث نحو الأوركسترا وبسطت يدها لرئيس الفرقة .

وسطع ضوء المغنسيوم ، اذ التقط أحد المصورين صورة لجريدته، وهزت المراة الشابة كتفيها فى عدم مبالاة ، كما لو ان هذه الشهرة لا تأثير لها عليها .

– أيها الساقى ... خمسة بورتو ... خمسة ...

وكان فيكتور وجوزيف فى شدة الارهاق ، وكانا يتسللان بين المقاعد وبدا كأن الجميع فى عيد .. عيد كان كلّ واحد منهم ينظر فيه الى الآخرين ، وكان الراقصون المحترفون يدورون وحدهم فى حلبة الرقص .

وقالت امراة لزوجها ، وكان قد اصطحبها الى البار لاول مرة فى حياتها :

ـ ليس الامر بغريب ابدا .. اننى لا ارى ما يستوجب اللوم .

واقترب جينارو من الشرطيين وقال :

ـ معذرة يا سادة ، اود ان اسالكم النصيحة ... هل يجب ان نقدم العرض الآن كالعادة . كان يتعين على اديل ان ترقص الآن .

هز القوميسير كتفيه وحول عينيه عنه .

ـ اننى سالتكما هذا لكى لا اثير استياءكما .

وكانت المراة الشابة تقف أمام البار ، يحيط بها الصحفيون الذين راحوا يستجوبونها .

ـ الخلاصة ان دلفوس سرق ما فى حقيبتك من نقود . هل كان عشيقك منذ وقت طويل .

ـ بل انه لم يكن عشيقى على الاطلاق .

وابدت بعض الضيق . كان لابد من بذل مجهود لكى تحتمل نار كل العيون .

ـ انك شربت الشمبانيا مع جرافوبولوس ، فاى نوع من الرجال هو ؟ .

ـ انه رجل ظريف ... ولكن دعونى ...

ومضت الى غرفة الثياب وخلعت معطفهـا ، واقتربت قليلا من جينارو وقالت :

ـ هل ارقص ؟ .

لم يدر ماذا يقول لها ... نظر الى كل هذا الحشد فى شىء من القلق كما لو كان يخشى ان تغمره الاحداث .

ـ اننى اتساءل ماذا ينتظران .

واشعلت اديل سيجارة واعتمدت بمرفقيها على البار وهى تنظر بعيدا دون ان ترد على الاسئلة التى يلقيها عليها الصحفيون .

وقالت امراة عجوز فى صوت مرتفع :

ـ انه لمما يضحك أن تدفع عشرة فرنكات ثمنا لكوب من الليمونادة، فليس هناك ما يستحق الرؤية .

ولكن حدث ما يستحق الرؤية مع ذلك ، ولـكن بالنسبة للذين يعرفون شخصيات المأساة فحسب ، فقد انفرج الستار الذى يغطى المدخل ودخل رجل فى نحو الخمسين من عمره ، ذو شارب فضى بدت عليه الدهشة وهو يرى كل هذا الجمع .

وحاول أن يتراجع فى بادىء الأمر ولكن عينيه التقتا بعينى صحفى عرفه ولكز جاره بمرفقه فدخل عندئذ وهو طلق المحيا واخذ يهز رماد سيجارته .

كان وسيم الوجـه ، يرتدى ثيابه فى أناقة مفرطة ، ويبدو من مظهره انه اعتاد الحياة العريضة اعتياده على حياة الليل .

ومشى قدما الى البار وخاطب جينارو قائلا :

ـ هل أنت صاحب البار ؟ .

ـ نعم يا سيدى .

ـ أنا مسيو دلفوس ، يبدو لك ان ابنى مدين لك ببعض النقود .

ـ فيكتور ! .

واقبل فيكتور مسرعا ، وخاطبه جينارو قائلا :

ـ هذا والد مسيو رينيه ، وهو يسأل عن دين ابنه .

ـ مهلا حتى أستشير دفترى .. مسيو رينيه وحـده أو هـو وصديقه ؟ .. هم ! .. مائة وخمسون فرنكا وخمسة وسبعون .. وعشرة .. ثم مائة وعشرون حساب الأمس .

بسط له مستر دلفوس ورقة من فئة الألف فرنك وهو يقول فى حدة :

ـ احتفظ بالباقى .

ـ شكرا يا سيدى ... شكرا جزيلا ... الا تريد ان تتنـاول شيئا ؟ .

ولكن مسيو دلفوس كان قـد مضى الى الباب دون أن ينظـر الى

احد . ومر بجوار القوميسير ، ولم يكن يعرفه . وفيما هو يجتاز عتبة الباب احتك بوافد جديد لم يعبأ به ومضى الى سيارته .

ومع ذلك فقد كان هذا هو الحدث الهام الذى كان متوقعا فى تلك الليلة ، فان الرجل الذى دخل كان ضخم الجسم عريض المنكبين ، جامد الأسارير هادىء النظرات .

وكانت اديل اول من رأته ، ولا ريب ان ذلك لأنها كانت لا تفتأ تنظر الى الباب ، وقد اتسعت حدقتاها وبدا عليها الاضطراب والقلق .

ومضى الوافد الجديد اليها قدما وبسط لها يده الضخمة وهو يقول :

ـ هل انت على ما يرام بعد ما حدث امس ؟ .

اجابت وهى تحاول الابتسام :

ـ شكرا ... وانت ؟ .

وتهامس الصحفيون وهم ينظرون اليه ، وقال احدهم :

ـ أراهنك انه هو .

ـ ما كان ليأتى هنا الليلة ! .

وكأن الرجل أراد أن يتحدى الموجودين ، فقد أخرج من جيبه كيسا من التبغ وراح يحشى غليونه ثم صاح مخاطبا فيكتور ، وكان يمر فى هذه اللحظة وفى يده صينية :

ـ قدح من البيرة .

واتى فيكتور باشارة من رأسه تدل على الموافقة وتابع طريقه . ومر بجوار الشرطيين وهمس يقول :

ـ انه هو .

كيف انتشر النبأ ؟ مهما يكن فانه لم تمض دقيقة واحدة حتى كان الرجل العريض الـكتفين محط كل الأنظار ، وكان قد جلس فوق مقعد عال واحدى ساقيه مدلاة الى الأرض وراح يشرب قدحه فى جرعات صغيرة وهو يتأمل الجمهور خلال كأسه التى يغشوها البخار .

واضطر جينارو أن يقرقع باصـــابعه ثلاث مرات لـكى يحمل الأوركستر على عزف مقطوعة جـديدة . وحتى الراقص المحترف راح يدور فى حلبة الرقص البراقة دون أن يفارق الرجل بعينيه .

وتبادل القوميسير دلفين والمفتش جيرار النظر . ونظر الصحفيون اليهما ، وقال القوميسير : هلم بنا .

ونهضا معا واتجها الى البار فى غير اكتراث . واعتمد القوميسير ذى الشارب الأحمر على البار أمام الرجل ، ووقف جيرار خلفه على استعداد لتطويقه .

ولم تنقطع الموسيقى ، ومع ذلك فقد احس الموجودون بصمت غير عادى :

ـ عفوا . هل كنت تنزل بفندق مودرن ؟ .

نظر الرجل اليه نظرة صارمة وقال :

ـ وبعد ؟ .

ـ اظن انك نسيت ان تملأ بطاقتك ؟ .

وكانت اديل تقف على بعد ثلاث خطوات وعيناها مثبتتان فى الرجل الغريب ، وحاول جينـــارو أن يفتح زجاجة شـــمبانيا ، وقال القوميسير :

ـ اذا لم تر مانعا فانى ارجو أن تأتى معى لـكى تملأ بطاقتك فى مكتبى . حذار ، لا داعى لاحداث اية شوشرة .

وكان القوميسير دلفين يرقب ملامح الرجل ويتساءل عبثا عن التأثير العجيب الذى يحس به نحوه .

ـ هل تأتى معى ؟ .

ـ لحظة واحدة .

ورفع الرجل يده الى جيبه ، وحسب المفتش جيرار انه يريد أن يخرج مسدسا ، وكان من عدم اللباقة ان سارع باخراج مسدسه هو ..

ونهض بعض الناس . واطلقت امراة صرخة ذعر ، ولكن الرجل

لم يكن يريد الا قطعة من النقود القاها فوق البار وهو يقول :

ـ اننى قادم معك .

وكان الخروج أبعد ما يكون عن التكتم والهدوء فان منظر المسدس اثار فزع الزبائن ، ولولا ذلك لأحاطوا بهم احاطة السوار بالمعصم . وسار القوميسير فى المقدمة يتبعه الرجل ثم جيرار ، وكان قد اضطرم لونه بسبب العمل الأخرق الذى اقدم عليه .

واضاء أحد المصورين المغنسيوم ، وكانت هناك سيارة تنتظر .

ـ هل لك ان تصعد ؟ .

ولم تمض ثلاث دقائق حتى كانوا قد بلغوا ادارة الأمن . وكان بعض المفتشين الذين انيط بهم العمل الليلى قد اجتمعوا حول احدى المناضد وراحوا يلعبون الورق ويشربون اقداحا من البيرة جيئت من المقهى المجاور .

ودخل الرجل كما لو انه يدخل بيته ، وخلع قبعته المستديرة واشعل غليونه الضخم الذى يناسب وجهه المكتنز .

ـ امعك اوراق تثبت شخصيتك ؟ .

كان دلفين عصبيا . كان هناك شىء فى هذه القضية لا يروق له ، ولم يدر ما هو .

ـ ليس معى اوراق على الاطلاق .

ـ أين تركت حقيبتك بعد أن غادرت فندق مودرن ؟ .

ورماه القوميسير بنظرة حادة ، ولكنه لم يلبث ان احس بالاضطراب لأنه خيل له ان محدثه يلهو كما يلهو الأطفال .

ـ لا ادرى .

ـ اسمك ومهنتك وعنوانك ؟ .

ـ افى هذه الغرفة مكتبك ؟ .

كان هناك باب مفتوح يفضى الى مكتب شاغر لا نور فيه .

ـ وبعد ؟ .

وكان الرجل العريض المنكبين أول من دخل المكتب . وادار مفتاح النور واغلق الباب ثم قال وهو يشد انفاسا صغيرة من غليونه .

ـ القوميسير ميجريه من ادارة الأمن العام بباريس . هيا ايها الزميل العزيز ، اظن اننا قمنا بعمل طيب الليلة ، ثم ان معك غليونا جميلا .

الرحلة العجيبة

ـ ألن يسرع الصحفيون خلفنا على الأقل ؟ .. هل لك أن توصد الباب بالمفتاح ؟ .. من الأفضل أن نتحدث فى هدوء .

وراح القوميسير دلفين ينظر الى زميله بهذا الاحترام غير الارادى الذى يحس به المرء فى الأرياف ، وخصوصا فى بلجيكا نحو كل من يأتى من باريس . زد على ذلك انه كان يشعر بالارتباك للخطأ الذى وقع فيه وأراد أن يعتذر . ولكن ميجريه قاطعه على الفور قائلا :

ـ أبدا ... أبدا ... كنت شديد الحرص على أن تلقى القبض على ، بل انى اذهب الى أبعد من هذا فأقول انك سوف تودعنى السجن وانني سأبقى فيه طالما كان ذلك ضروريا . ويجب أن يقوم رجالك بأنفسهم بالقاء القبض على .

وكان الأمر أقوى منه فانفجر ضاحكا وهو يرى ما ارتسم على ملامح البلجيكى ، فقد راح هذا الأخير ينظر اليه متسائلا كيف يتصرف مع هذا الرجل ، وبدا واضحا انه يخشى أن يثير سخرية الناس وضحكهم ، وحاول عبثا أن يعرف اذا كان زميله يهزل أو اذا كان يجد فى قوله .

واذ رأى ميجريه يضحك لم يسعه الا أن يشاركه الضحك ويقول :

ـ آه ، آه ... لا شك انك تهزل ... اتريد أن اودعك السجن حقا ... ها ... ها ...

ـ اقسم لك ان هذا هو ما اريد بالذات .

ـ ها ... ها ...

وقاوم نفسه طويلا ولكنه ، عندما رأى ان محدثه يجد حقا ولا يهزل تملكته الحيرة واستولى عليه الاضطراب .

كانا يقفان الآن وجها لوجه ، تفصل بينهما منضدة محملة بالملفات ، وكان ميجريه ينظر ما بين لحظة واخرى الى فليون البلجيكى فى اعجاب كبير . وقال :

ـ سوف تفهم ، والتمس معذرتك اذا كنت لم أطلعك على حقيقة الموقف قبل الآن . ولكنك لن تلبث ان ترى ان ذلك كان متعذرا . لقد وقعت الجريمة يوم الأربعاء ، أليس كذلك ؟ حسنا . كنت يوم الاثنين جالسا فى مكتبى برصيف اورفيفر عندما جاءنى احد رجالى ببطاقة جرافوبولوس . وقبل ان استقبله اتصلت تليفونيا بقسم الأجانب للاستعلام عنه ، كما افعل دائما فى مثل هذه الحالات . ولم أجد شيئا خاصا به لأنه كان قد أتى لتوه الى باريس .

وما ان استقبلته فى مكتبى حتى خامرنى على الفور احساس بأن هناك ما يزعجه ، وقال لى انه كثير الترحال وأن لديه من الأسباب ما يحمله على الاعتقاد بأن هناك من يريد قتله . واختتم حديثه معى بأن سألنى كم يكلفه الأمر اذا نحن كلفنا احد رجالنا بأن يقوم بحراسته ليلا ونهارا .

وهذا أمر عادى ومألوف ، وقد أخبرته بالتعريفة العادية فى مثل هذه الحالات ولكنه أصر على أنه يريد مفتشا قديرا يستطيع الوثوق به ، ولكنه تهرب فى نفس الوقت من الرد على اسئلتى بخصوص الخطر الذى يستهدف له ، وبخصوص أعدائه المحتملين .

وأعطانى عنوانه فى فندق جراند وفى نفس المساء أرسلت اليه احد رجالى لكى يقوم بحراسته .

واستعلمت عنه فى صباح اليوم التالى . واخبرتنى سفارة اليونان انه ابن احد كبار رجال المال فى أثينا وانه يمضى حياته فى الأسفار خلال أوروبا وانه لا عمل له الا اللهو والمرح كالأمراء وكبار الأثرياء ، وأراهن انك حسبته أفاقا .

ـ هذا صحيح . هل أنت واثق انه ...

ـ انتظر . وفى مساء يوم الثلاثاء جاءنى المفتش الذى كلفته بحراسة

جرافوبولوس وحدثنى مشدوها بان صاحبنا امضى كل وقته محاولا التخلص منه فى الطريق فقد اقدم على الحيل الصغيرة المألوفة فكان يلجأ الى العمارات التى لها بابان فيدخل من باب ويخرج من الآخر ، ويستقل سيارات الأجرة ، الواحدة بعد الأخرى محاولا الافلات منه .

واردف يقول ان جرافوبولوس ابتاع تذكرة للسفر فى الطائرة التى تقلع الى لندن صباح يوم الأربعاء .

واستطيع ان اعترف لك ان فكرة الرحيل الى لندن قد استهوتنى عندئذ ، ورايت ان اتبع الرجل بنفسى .

وفى صباح يوم الأربعاء غادر جرافوبولوس فندق جراند ، ولكنه بدلا من ان يمضى الى مطار بورجيه استقل سيارة اجرة الى محطة الشمال وابتاع تذكرة للقطار المنطلق الى برلين .

وسافرنا فى نفس العربة ، ولا ادرى هل عرفنى ام لا ، ولكنه لم يوجه الى كلمة واحدة .

وهبط فى محطة ليبج ، وهبطت خلفه ، واستاجر غرفة فى فندق مودرن ، واخترت انا غرفة مجاورة لغرفته .

وتناولنا العشاء فى مطعم خلف المسرح الملكى .

قاطعه مسيو دلفين :

ـ انه مطعم بيكاس ، وهو مطعم مشهور يقدمون فيه اطيب انواع الطعام .

ـ وعلى الخصوص طبق الكلاوى على الطريقة البلجيكية . هذا صحيح . وارجو ان تعرف اننى فهمت ان جرافوبولوس قد اتى الى ليبج لأول مرة فى حياته . وقد نصحوه فى المحطة بان يمضى الى فندق مودرن ، وفى الفندق اشاروا اليه ان يمضى الى مطعم بيكاس . ونصحه بواب المطعم اخيرا بان يمضى الى بار الجيه مولان .

وقال دلفين فى لهجة حالمة :

ـ اذن فقد مضى الى ذلك البار بمحض الصدفة .

ـ الواقع اننى لا ادرى . وقد دخلت الكباريه بعده بقليل ، ورايت

رافصة بالبار تجلس معه الى نفس المائدة ، وهو امر طبيعى تماما . والحق اننى انزعجت كثيرا لأنه ليس ابغض الى من علب الليل . وكان اول ما خطر لى هو انه سيصطحب المراة معه . وعندما رايت هذه تستعد للانصراف بمفردها رافقتها جانبا من الطريق ريثما القيت عليها سؤالا او سؤالين واكدت لى ان هذه هى اول مرة ترى فيها الرجل الأجنبى وانه ضرب لها موعدا للقاء وانها لن توافيه فيه ، واردفت تقول انه رجل مثير للملل .

« وهذا كل شىء ، وعدت ادراجى . وكان صاحب البار يخرج برفقة الساقى فحسب ان جرافوبولوس انصرف اثناء مرافقتى للراقصة ، وبحثت عنه بضع لحظات فى الشوارع المجاورة .

« ومضيت الى الفندق لكى اتاكد انه لم يعد ، وعندما عدت الى الجيه مولان كانت ابوابه مقفلة ، ولم تكن هناك اية انوار بالداخل .

« والخلاصة ان النتيجة كانت سلبية تماما ، ومع ذلك فلم انظر الى القضية نظرة ارتياع وهلع . وسألت احد رجال الشرطة ان كانت هناك كباريهات اخرى مفتوحة فى هذه الساعة فدلنى على اربعة او خمسة منها بحثت عنه فيها بحثا دقيقا دون أن أجده » .

تمتم دلفين يقول :

ـ هذا غريب .

ـ رويدك . كان فى مقدورى ان اتقدم اليك عندئذ وان اتابع القضية بالاتفاق مع شرطة ليبج ، ولكن نظرا الى اننى شوهدت فى الجيه مولان ، آثرت ان لا اثير قلق القاتل ، فالمجرمون المحتملون فى هذه القضية قلائل جدا . وبدأت بالشابين ، ولم يكن انفعالهما قد غاب عنى ، وقادنى بحق الى اديل والى علبة سجائر القتيل .

« ولكنك تعجلت الأمور والقيت القبض على جان شابو ، وهرب دلفوس ، وقمت بمواجهة عامة ، وكل ذلك لم اعرفه الا فيما بعد من الجرائد .

« وعرفت فى نفس الوقت انكم تبحثون عنى كقاتل محتمل .

« وهذا كل شىء ، وقد استغللت ذلك .

ـ استغللت ذلك ؟ .

ـ سؤال اولا ... هل تعتقد ان هذين الشابين مذنبان ؟ .

ـ اذا اردت الصراحة ...

ـ حسنا . أرى انك لا تعتقد ذلك . لا أحد يعتقد ذلك على كل حال ، والقاتل يدرك تماما انكم سوف تعيدون البحث عنه من وقت لآخر على كل حال ، وهو لهذا يتخذ احتياطاته ، ولا يجب ان تعتمد على حماته من ناحيته .

« ولكن هناك ، على العكس ، افتراضات كبيرة بخصوص الرجل العريض الكتفين كما تقول الجرائد .

« وقد القى البوليس الآن القبض على هذا الرجل العريض الكتفين فى ظروف تكاد تكون مسرحية ، ويعتقد الجميع الآن ان الرجل الذى القيتم القبض عليه هذا المساء هو القاتل الحقيقى .

« ويجب تأييد هذا الرأى ، وسوف يعلم الجميع غدا اننى اودعت سجن سان ليونار وان البوليس يتوقع ان أدلى باعترافات قريبا .

ـ وهل ستذهب الى السجن حقا ؟ .

ـ ولم لا ؟ .

لم يستطع دلفين ان يصدق اذنيه ، وقال وهو فى عجب من امره :

ـ ولكنك ستكون حرا فى تنقلاتك طبعا ؟ .

ـ ابدا . بل اننى اطلب منك ان تكون متشددا جدا معى .

ـ ان لـكم اساليب عجيبة فى باريس .

ـ ابدا . ولكننى قلت لك : يجب أن يعتقد القاتل او القتلة انهم اصبحوا بمأمن من الخطر ، هذا اذا كان هناك قاتل .

وفى هذه المرة اجفل القوميسير ذو الشارب الأحمر وقال :

ـ ماذا تعنى ؟ لعلك لا تريد أن تقول ان جرافوبولوس قد حطم

راسه بنفسه بالمطرقة ثم وضع نفسه فى الحقيبة الخيزران وانتقل بها الى حديقة الحيوان ؟ .

كانت عينا ميجريه الواسعتان تنطقان بالسذاجة وهو يقول :

ـ من يدرى ؟ .

واردف يقول وهو يحشو غليونه :

ـ حان الوقت لايداعى السجن . ولكن لعل من الأفضل أن نتفق على بعض النقاط قبل ذلك . هل لك أن تسجل ما سوف اقول ؟ .

كان بسيطا جدا ، بل كان فى لهجته شىء من الخضوع ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يدير الأمور دون أن يبدو عليه ذلك .

وقال دلفين :

ـ اننى مصغ اليك .

واجابه ميجريه :

ـ اكتب :

١ ـ فى يوم الأثنين طلب جرافوبولوس حماية البوليس الفرنسى .

٢ ـ فى يوم الثلاثاء يحاول الافلات من المفتش الذى عهدت اليه بحراسته .

٣ ـ فى يوم الأربعاء ، بعد ان ابتاع تذكرة الى لندن يشترى تذكرة اخرى لبرلين ويهبط فى مدينة ليبج .

٤ ـ يبدو انه لا يعرف المدينة ويمضى الى الجيه مولان حيث لا يقدم على شىء شاذ .

٥ ـ عندما خرجت برفقة الراقصة كان فى الكباريه اربعة اشخاص : شابو ودلفوس ، وكانا مختبئين فى الدرج المؤدى الى القبو وصاحب البار وفيكتور فى صالة الكباريه .

٦ ـ عندما عدت رأيت صاحب البار وفيكتور ينصرفان بعد ان اغلقا الأبواب ، وكان شابو ودلفوس بالداخل طبقا لاقوالهما .

٧ ـ يزعم الشابان انهما خرجا من القبو بعد ربع ساعة بعد اغلاق البار وان جرافوبولوس كان ميتا فى هذه اللحظة .

٨ ـ واذا صح هذا فان الجريمة تكون قد ارتكبت بينما كنت اسير مع الراقصة وان جينارو وفيكتور هما القاتلان .

٩ ـ اما اذا كان هذا غير صحيح فان شابو ودلفوس هما اللذان ارتكبا الجريمة عندئذ .

١٠ ـ لعل شابو يكذب ، واذا صح هذا فلا شيء يثبت ان الجريمة قد وقعت فى الجيه مولان .

ـ لعل القاتل نقل الجثة بنفسه ، ولكن من الممكن أن يكون شخص آخر هو الذى نقل الجثة بالاتفاق مع القاتل .

١٢ ـ فى صباح اليوم التالى نرى العلبة الذهبية مع اديل ، ولكنها تزعم ان دلفوس هو الذى أعطاها لها .

١٣ ـ شهادة جينارو والراقصة وفيكتور تتطابق لكى تدحض اقوال جان شابو .

***

وسكت ميجريه ، واخذ بضعة انفاس من غليونه . ورفع زميله اليه عينين يتجلى فيهما القلق وقال :

ـ هذا غريب .

ـ وما هو وجه الغرابة ؟ .

ـ تعقيدات هذه القضية ، عندما ننظر اليها عن كثب .

نهض ميجريه وقال :

ـ هلم بنا الى النوم ، هل الأسرة وثيرة فى سان ليونار ؟ .

ـ اصحيح انك تريد الذهاب هناك ؟ .

ـ بهذه المناسبة أود لو أن اكون فى الزنزانة المجاورة لزنزانة الفتى ، وقد اطلب منك اثناء ذلك الى صديقه دلفوس .

ـ ربما نكون قد اهتدينا اثناء ذلك الى صديقه دلفوس .

ـ لا اهمية لهذا .

ـ اتظن انهما بريئان حقا ؟ ان قاضى التحقيق لا يريد اخلاء سبيلهما . وبهذه المناسبة يجب أن اقول له الحقيقة فيما يخصك .

ـ هل لك ان تتوخى الحذر بقدر ما تستطيع ؟ .. ما الذى يجرى فى الخارج ؟ .

ـ لا ريب انهم الصحفيون . لابد من ان ادلى اليهم بتصريح . ماذا اقول لهم عن شخصيتك ؟ .

ـ قل لهم انك لا تعرف من انا وانك لم تجد معى اوراقا تستدل منها على شخصيتى .

لم يكن القوميسير دلفين قد استرد رباطة جاشه تماما ، وراح ينظر الى ميجريه خلسة ، فى قلق مشوب بالاعجاب .

ـ اننى لا افهم شيئا .

ـ يخيل لى ان جرافوبولوس لم يات الى ليبج الا لكى يقتل فيها . وبهذه المناسبة ، حان الوقت لكى ابلغ اسرته . سارى قنصل اليونان غدا صباحا .

وكان ميجريه قد اخذ قبعته المستديرة وتاهب للخروج وقال :

ـ حذار ان تعاملنى باعتبارات زائدة امام الصحفيين .

وفتح الآخر الباب ، وفى المكتب الكبير المخصص للمفتشين اجتمع ستة من الصحفيين حول رجل عرفه مسيو دلفين على الفور .

كان هو صاحب فندق مودرن الذى سبق ان اقبل بعد ظهر اليوم . وكان يتحدث مع الصحفيين فى حدة . وكان هؤلاء يدونون ملاحظاتهم . وفجاة التفت ورأى ميجريه فاشار اليه باصبعه وقد اصطبغ وجهه وقال :

ـ هذا هو ... لا شك هناك .

قال دلفين :

ـ اعرف ذلك ، فقد اعترف بانه نزل فى فندقك .

ـ وهل اعترف ايضا بانه هو الذى اخذ الحقيبة ؟

لم يفهم مسيو دلفين قوله هذا وساله :

ـ اية حقيبة ؟ .

ـ الحقيبة الخيزران طبعا ، فاننا مع خدم اليوم اصبحنا لا ندرى

شيئا . وكان من الممكن أن تمضى أيام قبل أن اعرف ما حدث .

ـ هل لك أن تفسر ما تقول ؟ .

ـ اليك الأمر . اننا نضع فى الطرقة ، بكل طابق ، حقيبة من الخيزران تستخدم لوضع الغسيل القذر ، ومنذ قليل جاءت الحقائب من المغسل ، ورايت عنـــدئذ أن هناك حقيبة ناقصة وهى حقيبة الطابق الثالث . وقد استجوبت الخادمة فزعمت انها اعتقدت اننا اخذنا الحقيبة لاصلاحها لأن هناك خللا فى غطائها .

ـ والغسيل ؟ .

ـ هذا هو اغرب ما فى الأمر ... وجدنا الغسيل الذى كان بها فى الحقيبة الخاصة بالطابق الثانى .

ـ هل أنت واثق ان حقيبتك هى التى استخدمت فى نقل الجثة ؟.

ـ اننى أتيت الآن من المشرحة ، وما ان رايتهـــا حتى تاكدت انها هى .

كان يلهث . ولم يكن قد رد الى وعيه تماما وهو يرى نفسه مشتركا فى هذه الجـــريمة . ولكن القوميسير دلفين كان اكثر منه غضبا وانفعالا فهو لم يجرؤ على أن يلتفت الى ميجريه ، ونسى الصحفيين ونسى الاتفاق المبرم بينهما وصاح :

ـ ما قولك فى هذا ؟ .

أجاب ميجريه وهو رابط الجاش :

ـ ليس عندى ما اقول .

وعاد صاحب الفندق يقول :

ـ لاحظوا انه كان فى مقدوره تماما الخروج من الفندق بالحقيبة دون أن يراه أحد ، فلـكى يدخل المرء ليلا يـكفى أن يدق الجرس فيدلى البواب اليه بالحبل دون ان يفارق مكانه ، اما الخروج فيكفيه أن يدير اكرة الباب .

وكان بين الصحفيين واحدا معروفا بمواهبه فى الرسم فاخـذ يرسم رسما كروكيا لميجريه ، وجعله يبدو بصدغين منتفخين وراس

تثير القلق بقدر المستطاع . ومر مسيو دلفين بيده فى شعره وتمتم يقول :

ـ هل لك أن تعود الى مكتبى لحظة .

ولم يدر أين يضع عينيه . وسأله احد الصحفيين :

ـ هل أدلى باعترافات ؟ .

ـ اغرب عن وجهى .

وقال ميجريه فى هدوء تام :

ـ ليكن فى علمك اننى لن اجيب على اى سؤال بعد .

ـ جيرار ... مر باحضار العربة :

وسأله صاحب الفندق :

ـ الا يجب أن اوقع على اقوالى ؟ .

ـ فيما بعد .

وعمت الفوضى . أما ميجريه فقد راح يدخن غليونه بكل هدوء وهو ينقل بصره بين الموجودين ، الواحد بعد الآخر .

وعاد جيرار فى هذه اللحظة ، وقال يسأل القوميسير :

ـ هل اضع الأصفاد فى يديه .

ـ نعم ... كلا ... ولكن تعال من هنا .

كان يتلهف على أن يجد نفسه بمفرده مع ميجريه :

وبينما كانت العربة تنطلق فى الشوارع المقفرة سأله فى شبه توسل :

ـ ما معنى هذا ؟ .

ـ ماذا ؟ .

ـ هذه القصة عن الحقيبة ان هذا الرجل يتهمك طبعا بانك أخذت الحقيبة من الفندق ... الحقيبة التى عثرنا فيها على الجثة .

ـ يبدو ان هذا هو ما يوعز اليه حقا .

وكانت كلمة « يوعز » تدل على سخرية لذيذة بعد الاعترافات المثيرة الى أدلى بها صاحب الفندق .

ـ هل هذا صحيح ؟ .

وبدلا من أن يرد قال ميجريه يجادله :

ـ الخلاصة أن هذه الحقيبة قد أخذها جرافوبولوس اذا لم اكن انا الذى اخذتها . واذا كان جرافوبولوس هو الذى اخذها فاعترف معى ان هذا عظيم . فهو رجل يحرص على أن ينقل تابوته بنفسه .

ـ معذرة ... ولكنك ، عندما اخبرتنى منذ لحظات عن اسمك لم يخطر لى ان اطلب منك ... ما يثبت ذلك .

فتش ميجريه فى جيوبه ، ولم يلبث أن اخرج الميدالية التى تثبت انه من رجال الشرطة وناولهـــا لمسيو دلفين ، وعاد هذا الأخير يقول :

ـ نعم ... أسألك المعذرة ... ولكن قصة الحقيبة هذه ...

وتشجع فجأة ، وانتهز فرصة الظـلام الذى يحيط بالعربة وقال :

ـ اتعرف انك ، حتى لو لم تقل لى شيئا لاضطررت الى القـــاء القبض عليك بعد اقوال هذا الرجل ؟ .

ـ هذا مفهوم .

ـ هل كنت تتوقع هذا الاتهام ؟ .

ـ أنا ؟ .. كلا.

ـ وهل تظن ان جرافوبولوس هو الذى اخذ هذه الحقيبة ؟ .

ـ اننى لا أظن شيئا بعد .

وسكت مسيو دلفين وقد احتقن وجهه كما لو كان قد فرغ صبره ، وغاص فى مقعده . وعندما بلغ السجن قام بالاجراءات المتبعة لايداع السجين وهو يتجنب النظر اليه . وقال أخيرا بدلا من أن يودعه :

ـ سيمضى بك الحارس الى زنزانتك .

ولا ريب انه جعل من هذه المسألة قضية ضمير ، لأنه ما ان القى نفسه فى الشارع حتى راح يتساءل ان لم يكن قد عامل زميلة بجفوة اكثر من اللازم ، وقال يحدث نفسه :

ـ هو نفسه طلب منى أن اقسو فى معاملته .

نعم ، ولـكن ليس وهما بمفردهما ، وجها لوجه . ثم ان ذلك قد حدث قبل ادلاء صاحب الفندق باقواله . ايكون ميجريه ـ لانه من باريس ـ يلهو ويسخر منه ؟ .

ـ لو ان ذلك صحيح فالويل له .

وكان جيرار ينتظره فى المكتب ، وكان يقرا الملاحظات التى املاها ميجريه للقوميسير . وقال مهنئا عندما راى رئيسه :

ـ ان القضية تتقدم .

ـ آه ... اهذا رايك ؟ .

وكانت لهجته من الحدة بحيث اتسعت عينا جيرار وقال :

ـ ولـكن ... هذا الرجل الذى القيت القبض عليه ، والحقيبة التى ...

ـ الحقيبة التى .. نعم .. انصحك ان تتكلم عنها .. عن الحقيبة التى .. اطلب لى موظف التلغراف على التليفون .

وعندما تم الاتصال املى البرقية التالية :

الى ادارة الامن العام بباريس .

ارجو ان ترسلوا بوجه السرعة اوصاف القـوميسير ميجريه مع بطاقة بصماته ان امكن .

ادارة الامن بلييج » .

تجرا جيرار وقال :

ـ ما معنى هذا ؟ .

وكانت جراته وبالا عليه فقد نظر الآخر اليه فى حدة وصاح :

ـ ليس لهذا اى معنى على الاطلاق . معناه انه يكفينى ما لقيت من اسئلتك السخيفة .. معناه اننى ارجو ان تغرب عن وجهى .

واذ ادرك سخافة غضبه لخص ما يعتمل فى نفسه بكلمة واحدة :

ـ اللعنة ! .

ثم اعتكف فى مكتبه ، وحده مع ملاحظـات القوميسير ميجريه الثلاث عشرة .

الفصل الثامن

فى بيت جان

ضحكت الفتاة السمينة ضحكة خليعة وقالت :

– الزم الهدوء ... ان الناس يروننا .

ونهضت ، ومضت الى النافذة التى تحجبها شبكة من المعدن وسألت :

– هل تنتظر قطار بروكسل ؟ .

كان ذلك فى مقهى صغير ، خلف محطة جيلمان وكانت الغرفة نظيفة وواسعة ، وبلاط الأرضية متألقا وطلاء الموائد براقا لامعا .

وقال الرجل ، وكان أمامه قدح من البيرة :

– تعالى واجلسى .

– هل ستكون عاقلا ؟ .

وجلست المرأة ، وأخذت يد الرجل من فوق الأريكة ووضعتها فوق المائدة .

– هل انت سمسار ؟ .

– وكيف عرفت ذلك ؟ .

– لا أدرى ... كلا . اذا لم تبق هادئا فسأمضى الى الباب . قل لى ماذا تشرب الآن ؟ .. جعة أيضا ؟ .. هل أطلب لى قدحا أنا الأخرى ؟ .

ربما كان المريب فى أمر هذه المقهى هو نظافتها المفرطة والنظام السائد فيها ، وشىء لا أدرى ما هو ، قد يرجع الى أنها تبدو كالبيت أكثر منها الى محل عام .

كان البنك صغيرا ، لا ترى فوقه شيئا من تلك الصنابير او المواسير التى تراها فى المقاهى عادة ، وخلفه رفان فوقهما نحو عشرين كوبا ،

وفوق منضدة بجوار النافذة كتاب لتعليم الخياطة ، وفى مكان آخر سبت صغير به بسلة خضراء تم تقشير بعضها .

كان المكان نظيفا كما سبق القول ، وكانت تفوح به رائحة الحساء والطعام المطهو اكثر مما تفوح فيه رائحة الشراب . وكان يخيل لمن يدخل أنه يدخل مسكنا خاصا .

أما المراة فكانت فى نحو الخامسة والثلاثين من عمرها ، جذابة فيها شىء من الاحتشام ومن الأمومة معا .

كانت تقضى وقتها فى اقصاء يد الرجل عنها ، وكان يضعها ما بين لحظة واخرى فوق ركبتها .

وسألته تقول :

ـ هل تعمل فى الأغذية ؟ .

وفجأة ارهفت السمع . كان هناك درج يؤدى الى الدور الأول ، وقد صدر منه صوت كما لو أن شخصا قد استيقظ .

ـ هل تسمح ؟ .

ومضت لكى تسمع ثم مضت الى الطرقة وصاحت :

ـ مسيو هنرى .

وعندما عادت الى الزبون ، كان هذا بادى القلق والحيرة ، خاصة وان اقبل من داخل المقهى وهو بالقميص ومن غير ياقة ، وصعد الدرج دون ان يصدر منه صوت . ولم يعد يرى غير ساقيه ثم اختفى تماما .

ـ ما الخبر ؟ .

ـ لا شىء . شخص كان ثملا مساء امس وارقدوه فوق .

ـ ومسيو هنرى ؟ .. اهو زوجك ؟ .

ضحكت ، وكانت ضحكة هزت جيدها الجميل اللون وقالت :

ـ انه مخدومى . ما انا الا الساقية . حذار ... اقسم لك ان الناس سيرونا .

ـ ومع ذلك ، فاننى أود ...

ـ ماذا ؟ .

واستطرد وجه الرجل ولم يعد ماذا يمكنه ان يبيح لنفسه او ماذا يمكنه ان يقول . نظر الى صاحبته السمينة النضرة بعينين لامعتين ، وقال هامسا :

ـ الا يمكن ان اخلو بك لحظة ؟ .

ـ انت مجنون ؟ .. ماذا تريد ان تفعل ؟ .. هذا مكان محترم .

وامسكت ، واصغت من جديد . كان هناك نقاش يدور فى الطابق الأول . وكان مستر هنرى يرد فى صوت هادىء جاف على شخص يوجه اليه لوما عنيفا .

وقالت الفتاة السمينة :

ـ انه لا يعدو أن يكون غلاما وان امره ليدعو الى الرثاء ... انه لم يبلغ العشرين عاما ويشرب حتى يسكر ... ثم انه راح يتباهى ويقدم الشراب للجميع ، وقد استغل عدد كبير من الناس ذلك .

وفتح الباب ، فوق ... وازدادت الأصوات وضوحا :

وصاح الفتى يقول :

ـ اقول لك انه كان فى جيوبى مئات من الفرنكات ... وقد سرقوها منى ... اننى اريد نقودى .

ـ مهلا .. مهلا .. لا يوجد هنا لصوص . لو لم تكن ثملا كالخنزير ...

ـ انت الذى حملتنى على الشراب .

ـ اذا كنت اقدم الشراب للناس فذلك لأننى اظنهم من الذكاء بحيث يحرصون على نقودهم ... ولا تنس اننى ارغمتك على الوقوف عند حدك . ولكنك انت الذى ذهبت وبحثت عن فتيات من الشارع بحجة ان الساقية لم تكن ظريفة معك واردت غرفة ... ولا ادرى ماذا كنت تريد ايضا .

ـ اعد الى نقودى .

ـ نقودك ليست معى ، واذا لم تكف عن هذا الصخب فسوف ادعو الشرطة .

ولم ينزعج مسيو هنرى اقل انزعاج ، وكان الفتى هو الذى انزعج فهبط السلم متقهقرا الى الوراء وهو يجادل دائما .

كان شاحب الوجه ، يبدو عليه الارهاق ، وقد احاطت بعينيه هالتان كبيرتان والتوت شفتاه .

وصاح يقول :

ـ انتم جميعا لصوص .

ـ أعد هذا القول .

وهبط مسيو هنرى بضع درجات ركضا واخذ بتلابيب الفتى . وفجاة اوشك الأمر ان ينقلب الى ماساة فقد اخرج الفتى مسدسا من جيبه وهو يصيح :

ـ دعنى والا ...

والتصق السمسار بالاريكة ، وارتسم الذعر فى عينيه وامسك بذراع جارته التى ارادت ان تندفع الى الأمام .

ولكن لم يلبث ان تغير الوضع فان مسيو هنرى كان رجلا اعتاد العراك والأخطار فضرب ساعد الفتى ضربة قوية سقط المسدس على اثرها الى الأرض .

وقال يخاطب المراة وهو يلهث رغم ذلك .

ـ افتحى الباب .

وعندما تم ذلك دفع بالفتى فى قوة بحيث تدحرج فوق الرصيف ، ثم التقط المسدس وقذفه به وهو يقول :

ـ هؤلاء الأطفال الحمقى الذين ياتون ويهينونك فى بيتك ... كان يتخابث بالأمس ويتباهى بما معه من نقود امام الجميع .

واعاد تنسيق شعره ، والقى نظرة نحو الباب ، ورأى احد رجال الشرطة ، فتحول الى الزبون وقال :

ـ انت شاهد بانه هددنى ، اليس كذلك ؟ ومهما يكن فان البوليس يعرف المحل .

وعلى الرصيف ، كان رينيه دلفوس واقفا وقد تلوثت ثيابه ، تصطك أسنانه لفرط الغيظ ويرد على أسئلة الشرطى دون ان يعرف ما يقول .

ـ تقول انهم سرقوك ؟ ولكن قل لى من انت ... ارنى اوراقك .. ولمن هذا المسدس ؟ .

وتجمع حولهما بعض الناس ، واطل بعضهم من النوافذ ومن التراموايات . واذ راى الشرطى ذلك قال :

ـ وعلى كل حال ، تعال معى الى قسم البوليس .

وفى القسم تملكت الفتى ازمة من الغيظ والغضب بحيث راح يركل الشرطى بكل قواه . وعندما استجوبه القوميسير بدا يقول انه فرنسى وانه جاء الى ليبج بالأمس .

وقد اسكرونى فى هذا المقهى وسلبونى نقودى .

ولكن شرطيا يجلس فى ركن بعيد كان يراقبه ، فمضى الى القوميسير واسر اليه ببضع كلمات فى صوت خافت . وابتسم القوميسير فى ارتياح ونظر الى الفتى وقال له :

ـ أو لست تدعى رينيه دلفوس يا هذا ؟ .

ـ هذا لا يعنيك .

ونادرا ما راى القوم رجلا يتميز بمثل هذا الغضب ، وبدا الذعر واضحا فى عينيه وفى ثنية شفتيه ، وقال القوميسير :

ـ والنقود التى سرقوها منك ، الم تسرقها انت من حقيبة احدى الراقصات .

ـ هذا غير صحيح .

ـ مهلا يابنى ... مهلا ... سوف تفسر ذلك لادارة الامن . فليتصل احدكم بالقوميسير دلفين ليساله عما يجب ان نفعل بهذا الفتى .

قال دلفوس وهو لا يزال يغلى من الغضب :

ـ اننى جائع .

واذ هز القوميسير كتفيه صاح يقول :

ـ ليس من حقكم أن تتركونى دون طعام ... سأشكوكم ...

ـ امض وجهه بشطيرة من الخارج .

وقضم دلفوس الشطيرة قضمتين ثم القى بالبـــاقى الى الارض متقززا :

ـ آلو .. نعم .. انه هنا .. حسن جدا .. سأبعث به اليك على الفور .. كلا .. لا شيء .

وفى العربة ، جلس دلفوس بين شرطيين ولزم الصمت المطبق ، ثم تمتم يقول من غير ان يساله احد :

ـ سوف يشكوكم ابى الى المحافظ فهو صديق له .. اننى لم افعل شيئا . لقد سرقوا نقودى وطردنى صاحب المقهى دون ان يرد لى شيئا .

ـ ومع ذلك فان المسدس لك انت .

ـ بل هو مسدسه . انه هددنى باطلاق الرصاص على اذا اثرت ضجة ، وما عليك الا ان تسأل اى زبون كان هناك .

وعندما دخل مكاتب ادارة الأمن رفع راسه وحاول ان يتظاهر باهميته وبوثوقه من نفسه .

وقال احد المفتشين وهو يصافح زميليه وينظر الى دلفوس من اعلا راسه الى اخمص قدميه :

ـ آه .. اهذا هو الماكر الصغير .. سأخبر القوميسير .

وعاد بعد لحظة وقال فى غير اكتراث :

ـ فلينتظر .

وكان من المستطاع قراءة خيبة الأمل والقلق اللذين ارتسما على على وجه الشاب الذى رفض المقعد الذى اشاروا اليه : وهم بأن يشعل سيجارة ولكنهم انتزعوها من بين يديه قائلين :

ـ ممنوع التدخين .
ـ ولكنكم أنتم تدخنون .
وسمع المفتش يقول وهو يبتعد :
ـ انه لفتى مشاكس ... وان أمره لغريب .
واستمروا يدخنون حوله ويكتبون ويقلبون الملفات وهم يتبادلون احيانا بعض العبارات .
وصلصل جرس ، وقال المفتش لدلفوس دون أن يتحرك :
ـ يمكنك أن تذهب الى الرئيس ... الباب الأخير .
لم يكن المكتب كبيرا ، وكان الجو ازرق بدخان السجائر ، وكانوا قد أشعلوا النار فى المدفأة لأول مرة فى الخريف ، وراحت نيرانها تتأجج مع كل هبة من هبات الريح .
وكان القوميسير جالسا فى مقعده كما لو كان ملكا يتربع على عرشه ، وفى آخر الغرفة ، بجوار النافذة كان هناك شخص آخر يجلس فوق مقعده :
ـ ادخل ... ادخل .
واعتدل الشخص الجالس بجوار النافذة . وكان المكان قليل الضوء ولكن وجه جان شابو الشاحب بدا جليا وهو ينظر الى صديقه .
وعندئذ قال دلفوس متهكما :
ـ ماذا تريدون منى ؟ .
ـ لا شيء على الاطلاق ايها الشاب .. نريد أن ترد فقط على بضعة أسئلة .
ـ اننى لم افعل شيئا .
ـ وانا لم اتهمك بشيء بعد .
وتحول رينيه الى شابو وقال :
ـ ماذا قال لكم ... انه كذبكم القول وانا واثق من ذلك .
ـ مهلا يا بنى .. مهلا ، وحاول أن ترد على اسئلتى .. اما انت فابق مكانك .

ـ ولكن ؟ .

ـ قلت لك ان تبقى مكانك . والآن يا صغيرى دلفوس ، قل لى ماذا كنت تفعل فى ذلك المقهى .

ـ انهم سرقونى .

ـ وماذا غير ذلك ؟ .. انك ذهبت هناك بعد ظهر امس ، وكنت ثملا فى ذلك الوقت ... واردت ان ترافقك الساقية الى الطابق الأول . وعندما رفضت خرجت وعدت بامراة من الشارع .

ـ هذا من حقى .

ـ وقدمت الشراب للجميع .. وكنت لساعات طويلة محط انظار الجميع ... حتى بلغ بك السكر مبلغه وتدحرجت تحت المنضدة ، وقد اشفق صاحب المقهى عليك ونقلك الى الفراش بالطابق الأول .

ـ انه سرقنى .

ـ بل تعنى انك بعثرت نقودك ذات الشمال وذات اليمين على الموجودين ... وهى نقود ليست لك ... اخذتها فى صباح اليوم بالذات من حقيبة اديل .

ـ ليس هذا صحيحا .

ـ ومن هذه النقود بدات بشراء هذا المسدس .. ماذا كنت تريد ان تفعل به ؟ .

ـ اشتريته لاننى اردت ان يكون معى مسدس .

كانت سحنة شابو منظرا عجيبا . كان ينظر الى صديقه فى دهشة كبيرة لا حد لها كما لو انه لم يكن يصدق اذنيه . وبدا انه قد اكتشف فجاة دلفوسا آخر لا يعرفه .. دلفوسا يثير ذعره .. وود لو ان يتدخل وان يطلب منه ان يسكت .

ـ لماذا سرقت نقود اديل ؟ .

ـ انها هى التى اعطتنى اياها .

ـ ولكنها تقول العكس بالذات وتتهمك .

ـ انها تكذب ، فهى التى اعطتنى اياها لكى ابتاع تذكرتين للسكة الحديد لأنه كان ينبغى ان نرحل معا .

كان هناك انطباع بأنه يلقى بأقواله جزافا ومن غير تفكير ودون ان يعبأ بأنه يناقض نفسه .

ـ ولعلك ستنكر ايضا انك كنت مختبئا منذ ليلتين فى الدرج المؤدى الى القبو بالجيه مولان ؟ .

انحنى شابو الى الأمام كما لو اراد ان يقول :

ـ حذار ... لا مكان للانكار ، فقد كان لابد من ...

لكن دلفوس كان قد هب ووقف وتحول الى زميله وصاح :

ـ أهو الذى قال لكم ذلك ايضا ... انه كذب ... اراد أن أبقى معه ، فأنا لست بحاجة الى النقود ... ان ابى ثرى وما على الا أن أطلب منه ما اريد ... انه هو الذى خطر له ...

ـ بحيث انك انصرفت على الفور ؟ ..

ـ نعم .

ـ هل عدت الى بيتك ؟ .

ـ نعم .

بعد أن اكلت بطاطس محمرة وجندوفلى فى شارع بون دافروى ؟ .

ـ نعم ، أعتقد ذلك .

ـ ولكنك كنت مع شابو عندئذ ، وقد شهد صاحب المحل بذلك .

راح شابو يلوى يديه وينظر الى صديقه متوسلا . وقال دلفوس :

ـ ومع ذلك فأنا لم أفعل شيئا .

ـ لم أقل لك انك فعلت شيئا ما ...

ـ اذن ؟ .

ـ لا شيء .

استرد دلفوس نفسه ونظر نظرة جانبية . وسأله القوميسير :

ـ أانت الذى اعطيت الاشارة للخروج من القبو ؟ .

ـ هذا غير صحيح .

ـ كنت انت الذى تقدمته على كل حال وانت الذى رايت الجثة قبله .

ـ ليس هذا صحيحا .

وهنا لم يتمالك شابو الا ان يصيح :

ـ رينيه .

ومرة اخرى ارغمه القوميسير على ان يعاود الجلوس والصمت . ولكن الفتى لم يسمعه الا ان يتمتم رغما عنه .

ـ اننى لا افهم لماذا يكذب .. فنحن لم نقتل .. بل اننا لم نجد متسعا من الوقت لكى نسرق . كان هو الذى يتقدمنى ... وقد اشعل عود ثقاب ، وانا لم اكد ارى التركى ... انما خمنت شيئا ممددا على الأرض وقد قال لى فيما بعد انه كانت له عين مفتوحة وان فمه ..

قال دلفوس متهكما :

ـ انك تثير اهتمامى .

وفى هذه اللحظة بدا شابو اصغر من صديقه بخمس سنوات ، وغير مدرك بما يدور حوله اطلاقا ، واحس بانه لن يستطيع اقناع احد بما يقول وان صديقه اقوى منه .

وراح مسيو دلفين ينقل بصره فيما بينهما ثم قال اخيرا :

ـ فلتتفقا معا يا ولدى . انكما خرجتما مذعورين ومسرعين جدا بحيث نسيتما ان تغلقا الباب خلفكما ، وذهبتما واكلتما بطاطس محمرة وجندوفلى .

وفجأة حدق فى دلفوس مليا ثم قال له فجأة :

ـ ولكن قل لى ... هل لمست الجثة ؟ .

ـ انا ؟ .. ابدا .

ـ هل كانت هناك حقيبة خيزران على مقربة ؟ .

ـ كلا ... اننى لم ار شيئا .

ـ كم مرة سرقت نقودا من خزانة خالك ؟ .

ـ اهو شابو الذى قال لك هذا ايضا ؟ .

ثم ضم قبضته وصاح :

ـ يا للحيوان القذر ؟ هل بلغت به الجراة ؟ .. انه يخترع اشياء ... لانه هو الذى كان يسرق الخزانة الصغيرة وكنت اعطيه انا لكى يسد العجز .

توسل شابو اليه قائلا وهو يضم يديه :

ـ اسكت .

ـ انك تعرف جيدا انك تكذب .

ـ بل انت الذى تكذب . اسمع يا رينيه ... ان القاتل ... هو ...

ـ ماذا تقول ؟ .

ـ اقول انهم القوا القبض على القاتل ... وانك ...

حملق دلفوس فى مسيو دلفين ، وساله فى صوب مضطرب :

ـ ما هذا الذى يقول ؟ .. هل القيتم القبض على القا ...

ـ الم تقرا الجرائد ؟ .. صحيح انك نمت بعيدا بعد ان ثملت ، ولكنك ستقول لى الآن اذا كنت تعرف الرجل الذى كان موجودا فى الجيه مولان فى تلك الليلة ، والذى تبعكما فى الشوارع فى صباح اليوم التالى .

جفف رينيه وجهه ، ولم يعد يستطيع النظر الى المكان الذى يقف به صديقه . وصلصل جرس التليفون فى الغرفة المجاورة ، واضطر بعضهم ان يذهب لياتى بميجريه من غرفة اخرى . وفتح الباب ودخل وفى اعقابه المفتش جيرار .

ـ عجل باسرع من هذا ... قف فى النور .. ارجوك ... قل لى يا دلفوس الآن .. هل تعرفه ؟ .

ـ نعم . انه هو .

ـ الم يسبق ان رايته قبل ذلك ابدا ؟ .

ـ ابدا .

ـ الم يوجه اليك الحديث ؟ .

ـ لا اظن ذلك .

ـ عندما خرجتما من الجيه مولان ، الم يكن يحوم حول المكان فعلا ؟ .. فكر جيدا قبل أن تتكلم ... اشحذ ذاكرتك .

ـ انتظر .. نعم .. ربما .. كان هناك رجل واقفا فى احد الأركان واظن الآن انه ربما كان هو .

ـ ربما .

ـ بل انه هو بكل تاكيد .

كان ميجريه يبدو ضخما وهو واقف فى المكتب الصغير ، ولكنه عندما تكلم كان ذلك فى صوت خافت رقيق جدا . قال :

ـ لم يكن معك مصباح كهربائى فى جيبك ، اليس كذلك ؟ .

ـ كلا . لماذا ؟ .

ـ ولم تضىء النور فى الصالة ، واكتفيت بأن اشعلت عود ثقاب .. هل لك ان تذكر لى المسافة التى كانت بينك وبين الجثة ؟ . .

ـ ولكن ... لا ادرى .

ـ اهى مسافة اكبر من تلك التى بين جدارى هذا المكتب ؟ .

ـ نفس المسافة تقريبا .

ـ اربعة امتار اذن ... .وكنت شديد الانفعال ، فقد كان هذا أول حادث سطو تقوم به ... ورايت جسدا ممددا على الأرض فقلت لنفسك على الفور انه جثة .. ولكنك لم تقترب منها .. ولم تلمسها .. بحيث انك لست واثقا الآن من ان الرجل لم يكن يتنفس .. من الذى كان يمسك بعود الثقاب ؟ .

اعترف دلفوس قائلا :

ـ أنا .

ـ هل ظل مشتعلا مدة طويلة ؟ .

ـ كلا ، فقد تركته يقع على الأرض على الفور .

ـ اذن فأنت لم تضىء الجثة المشهورة الا بضع ثوان .. هل انت

واثق يا دلفوس انك عرفت فى الجثة المدعو جرافوبولوس .

ـ رايت شعرا اسود .

ونظر حوله فى دهشة ، وادرك عندئذ فقط انه يخضع لاستجواب حقيقى وانه وقع فى الفخ فزمجر يقول :

ـ لن اجيب بعد ذلك الا على القوميسير .

وكان هذا الاخير قد امسك سماعة التليفون ، واجفل الفتى عندما سمع الرقم الذى يطلبه .

ـ آلو .. هل اتكلم مع مسيو دلفوس ؟ .. اريد ان اعرف هل ما زلت مستعدا لدفع خمسين الف فرنك كفالة لاطلاق سراح ابنك ؟ .. اننى تحدثت فى ذلك مع قاضى التحقيق ، وقد احال هذا الاخير الامر الى النيابة .. نعم .. اتفقنا . كلا . لا تزعج نفسك .. من الاوفق ان يتم ذلك توا .

لم يفهم رينيه دلفوس شيئا من هذا الحديث بعد ، وبقى جان شابو جامدا فى مكانه لا يتحرك .

ـ اما زلت تزعم يا دلفوس ان شابو هو الذى فعل ذلك ؟ .

ـ نعم .

ـ حسنا .. انتما طليقان .. فليعد كل منكما الى بيته . لقد وعدنى ابوك الا يوجه اليك اى لوم .. لحظة واحدة . اما زلت تؤكد يا شابو ان دلفوس هو الذى سرق النقود التى حاولت انت ان تخفيها .

ـ انه هو ... واننى ...

ـ اذا كان الامر كذلك فتدبر الامر معه ... انصرفا الآن ، وحاولا الا تثيرا اية فضيحة والا يلحظكما احد بقدر المستطاع .

وكان ميجريه قد اخرج غليونه من جيبه بحركة آلية ، ولكنه لم يشعلها . نظر الى الفلامين اللذين بدت عليهما الحيرة ووقفا لا يدريان ماذا يفعلان او يقولان . واضطر القوميسير ان ينهض وان يدفعهما الى الخارج .

ـ لا تتشاجرا ... هل تسمعان ؟ وتذكرا انكما ما زلتما تحت تصرف العدالة .

اجتاز الشابان مكتب المفتشين بخطوات واسعة ، وما كاد دلفوس يخرج من الباب حتى التفت الى صديقه فى عنف وبدا محاضرة حادة لم يسمعها أحد .

صليل جرس التليفون .

ـ آلو .. القوميسير دلفين .. ارجو المعذرة لازعاجى اياك يا سيدى القوميسير . أنا مسيو شابو الأب .. هل استطيع أن اسأل اذا كان قد جد جديد .

ابتسم القوميسير والقى غليونه فوق المكتب ، وغمز لميجريه بعينيه وقال :

ـ لقد غادر دلفوس المكتب الآن ، وبرفقته ابنك ..

ـ . . . .

ـ نعم . سيكون ابنك فى البيت بعد دقائق .. آلو .. اسمح لى أن انصحك بألا تقسو عليه كثيرا .

كانت الدنيا تمطر ، وراح شابو ودلفوس يمشيان بطول الأفاريز مسرعين ، يشقان الجمهور الذى لا يعرفهما ، ولم يكن حديثا متتابعا ذلك الذى كان يدور بينهما ، ولكن كان احدهما يستدير فجأة ما بين لحظة وأخرى ويرمى زميله بعبارة لاذعة يرد عليها الآخر ردا جارحا .

وعندما بلغا آخر شارع بويزانسوك انعطف احدهما الى اليمين والآخر الى الشمال لكى يعود كل منهما الى بيته .

***

ـ لقد اطلقوا سراحه يا سيدى ... عرفوا انه برىء .

وخرج مسيو شابو من مكتبه وانتظر الترام رقم ٤ وصعد بجوار السائق . وكان يعرفه منذ سنوات .

ـ حذار .. انظر امامك حتى لا يقع شىء .. ان ابنى حر طليق ..

وقد اتصل القوميسير تليفونيا بنفسه لكى يقول انه يعترف بخطئه .

ولم يدر احد هل كان يضحك ام يبكى . ومهما يكن فقد كانت هناك طبقة من البخار تمنع رؤية الشوارع المألوفة التى كانت تمر امامهم .

واظن اننى قد اصل الى البيت قبله .. وهذا افضل لان زوجتى جديرة بأن تسىء استقباله .. هناك امور لا تفهمها النساء .. هل اعتقدت انت لحظة واحدة انه مذنب ؟ .. فيما بيننا .

كان مؤثرا ، وكان يضرع الى السائق لكى يقول له كلا . ولكن هذا الأخير قال :

ـ انت تعلم اننى ...

ـ ان لك رايك طبعا .

ـ منذ ان اضطرت ابنتى الى الزواج من ذلك الذى غرر بها وجعلها تنجب منه ولدا وانا لا اثق فى شباب اليوم .

***

كان ميجريه جالسا فى المقعد الذى تركه شابو منذ لحظات ، امام مكتب القوميسير دلفين ، وكان قد اخذ كيس التبغ الخاص بهذا الأخير والموضوع فوق المكتب .

قال يسأل القوميسير :

ـ هل جاءك رد باريس ؟ .

ـ وكيف عرفت ؟ .

ـ آه ... كان فى مقدورك ان تخمن مثلى .. والحقيبة الخيزران ؟ . هل افلح احد فى معرفة كيف خرجت من فندق مودرن ؟ .

ـ ابدا .

كان مسيو دلفين متذمرا ... وكان غاضبا من زميله الفرنسى .

ـ فيما بيننا ، اظن انك تهزأ بى ، اليس كذلك ؟ .. اعترف بأنك تعرف شيئا .

ـ ارد عليك بدورى فاقول لك اننى لا أعرف شيئا على الاطلاق . وهذه هى الحقيقة . ان لدى نفس عناصر القضية مثلك تماما ، ولو كنت مكانك لتصرفت مثلك ولأطلقت سراح هذين الفلامين ، ولحاولت مثلا ان اعرف ماذا استطاع جرافوبولوس ان يسرق من الجيه مولان .

ـ يسرق ؟ .

ـ اذن ما الذى حاول سرقته ؟ .

ـ هو ؟ .. القتيل ؟ .

ـ اذن استطاع ان يقتل .

ـ اننى لا افهم شيئا .

ـ انتظر .. من قتل أو حاول ان يقتل .

ـ ها انت ترى انك تملك معلومات افتقر انا اليها .

ـ ولكنها معلومات ضئيلة . ان الفارق الوحيد بيننا هو انك امضيت ساعات مضطربة ، تجرى هنا وهناك ، وتسرع الى النيابة ، وتستقبل اناسا كثيرين وتتكلم فى التليفون ، فى حين استمتعت انا بهدوء تام فى زنزانتى بسان ليونار .

اسرع دلفين يقول فى شىء من الخشونة :

ـ وهل فكرت فى النقاط الثلاث عشرة .

ـ لم افكر فيها كلها ... فى بعض منها فقط .

ـ فى الحقيبة الخيزران مثلا ؟ .

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه ميجريه وقال :

ـ الحقيبة الخيزران ثانية ! ولكن لعل من الأوفق ان اقول لك الآن فورا ان هذه الحقيبة .. انا الذى اخرجتها من الفندق .

ـ فارغة ؟ .

ـ ابدا ، كانت الجثة فيها .

ـ بحيث انك تزعم ان الجريمة ...

ـ ارتكبت فى فندق مودرن طبعا، فى غرفة جرافوبولوس . وهذه هى النقطة التى تثير حيرتى فى هذه القضية . هل معك عود ثقاب .

الفصل التاسع

المرشد

اضطجع ميجريه فى مقعده وبدا عليه تردد يسير كما هى الحال معه دائما حين يهم ببدأ تفسير طويل ، ثم قال فى بساطة تامة :

ـ سوف تفهم مثلى ، ولن تحقد على ابدا بعد ذلك لاننى غافلت وغررت بك شيئا ما . ولننظر اولا الى زيارة جرافوبولوس لادارة الامن بباريس . انه طلب حماية البوليس ولم تقدم اى تفسير ، وتصرف فى اليوم التالى كما لو كان قد ندم على ما فعل .

كانت النظرية الاولى هى انه رجل مجنون او مهووس ، رجل تلح عليه فكرة خاصة ، وهى ان هناك من يضطهده .

وكانت النظرية الثانية هى انه يعرف حقا ان هناك من يهدده وانه بعد التروى والتفكير اصبح لا يعتقد انه فى امان ، حتى تحت حماية البوليس .

اما النظرية الثالثة فهى انه كان فى حاجة لان يكون تحت المراقبة لوقت ما .

واوضح فاقول اننا ازاء رجل ناضج يتمتع بثروة كبيرة ، وحر تماما ، فى الظاهر ، وانه يستطيع ان يستقل الطائرة او القطار وان يمضى الى اى مكان يريد .

ولكن ما هو الخطر الذى يمكن ان يثير ذعره الى درجة ان يلجا للبوليس ؟ .. امراة غيور تتكلم عن قتله ؟ لا اصدق شيئا من ذلك ، فيكفيه ان يضع بينه وبينها عددا من الكيلو مترات .

ام هو عدو خاص ؟ .. ان رجلا مثله ، وابن احد كبار رجال الاعمال قادر على ان يلقى القبض عليه .

ولكنه ليس خائفا فى باريس فحسب ، وانما هو خائف فى القطار كما هو خائف فى ليبج .

ومن هنا استنتج انه لا يخاف من رجل مثله وانما من منظمة ، ومن منظمة دولية .

واعود فاقول انه ثرى ، ولو ان هناك مجرمين يسعون وراء نقوده لما هددوه ، ومهما يكن فانه كان يستطيع ان يحمى نفسه منهم بالابلاغ عنهم .

ولكنه يبقى على خوفه حتى حين يتعقبه البوليس .

والتهديد يثقل عليه ، وهو تهديد موجود فى اى بلد يمضى اليه وفى اية ظروف ، تماما كما لو كان مشتركا فى منظمة سرية ، وكما لو انه غدر بها ويخشى انتقامها .

لتكون المافيا مثلا ؟ .. او منظمة للتجسس . سيقول لنا مكتب مكافحة الجاسوسية ماذا كان يفعل ابوه اثناء الحرب .

لنفرض ان الابن خان او ان الملل تملكه فابدى نيته على ان يسترد حريته فيهددونه بالموت وينذرونه بان الحكم سينفذ ان آجلا وان عاجلا ، فيلجأ انى ولكنه لا يلبث ان يفهم فى صباح اليوم التالى ان هذا العمل لن يفيده فيتملكه القلق وينصرف كالمجنون .. .

والعكس ايضا جائز . .

ساله مسيو دلفين فى دهشة ، وكان يصغى فى اهتمام :

ـ العكس ؟ .. اعترف اننى لا افهم .

ـ ان جرافوبولوس ، كما يقال عن امثاله ، ابن ذوات ، وهو عاطل، وفى اثناء رحلاته ينضم الى عصابة ما ... احدى عصابات المافيا او انى منظمة للتجسس كهاو مثلا ، يسعى وراء الأعمال المثيرة ويتعهد بأن يطيع رؤساه طاعة عمياء ، وفى ذات يوم يصدرون اليه الأمر بان يقتل شخصا .

ـ فيلجأ عندئذ الى البوليس .

ـ تتبعنى جيدا .. يصدرون اليه اوامرهم مثلا بان ياتى الى هنا ، فى ليبج ، لكى يقتل شخصا معينا . وهو موجود فى باريس ولا احد يشتبه فيه ويكره ان يطيع ، ولكى يتحاشى ذلك يلجأ الى البوليس

ويطلب حمايته ويسألهم ان يتبعوه كظله ، ثم يتصل بشركائه تليفونيا ويخبرهم بأنه يتعذر عليه انجاز مهمته نظرا الى ان رجال الشرطة يتعقبونه . ولكن رؤساءه لا يهتمون بقوله هذا ويأمرونه بأن يتصرف رغم كل شيء . هذا هو التفسير الثانى ... واما ان يكون احدهما صحيحا او ان يكون صاحبنا مجنونا ، وليس هناك من سبب حقيقى لكى يقتله احد .

قال القوميسير دلفين دون اقناع :

ـ هذا امر محير .

ـ صفوة القول انه عندما يغادر باريس يأتى الى ليبج لكى يقتل شخصا او لكى يقتله بعضهم .

وانطفأ غليون ميجريه . وكان يقول كل ذلك بصوته العادى وبكل بساطة :

ـ وفى النهاية هو الذى يلقى حتفه قبلا ، ولكن هذا لا يثبت شيئا . فلنستعد لاحداث تلك الليلة . انه يمضى الى الجيه مولان ويقضى فيه السهرة برفقة الراقصة اديل . وتفارقه هذه الاخيرة وترافقنى الى الخارج . وعندما اعود اجد صاحب البار وفيكتور ينصرفان والبار شاغر فى الظاهر ، واعتقد ان جرافوبولوس قد انصرف وأبحث عنه فى البارات الأخرى بالمدينة .

وفى الساعة الرابعة صباحا اعود الى فندق مودرن ، وقبل ان امضى الى غرفتى يدفعنى الفضول الى التأكد من ان صاحبى اليونانى لم يعد بعد . والصق اذنى بالباب وأرهف السمع ولكننى لا اسمع اى تنفس فافتح الباب واجده مرتديا كل ثيابه بجوار الفراش وقد تحطم راسه من اثر ضربة مطرقة .

هذا تلخيص وجيز لنقطة بدايتى بقدر المستطاع ... اختفت حافظة نقوده ، ولا اجد فى الغرفة اى شيء ، ولا حتى ورقة واحدة يمكن ان استدل منها على شيء ، ولا سلاح ولا اى اثر .

ولم ينتظر ميجريه رد زميله واستطرد يقول :

ـ بدات حديثى بذكر المافيا والتجسس ، وعن منظمة دولية اعتقد على كل حال انها اساس هذه القضية ، فقد ارتكبت الجريمة بطريقة فنية كبيرة . واختفت المطرقة ، وليس هناك شبه لاى اثر ولا اى دليل يمكن ان نستند اليه فى التحقيق .

فان التحقيق اذا بدا فى فندق مودرن فى الظروف العادية فمن المؤكد تقريبا انه لن يفضى الى اية نتيجة .

وان الاشخاص الذين استطاعوا تدبير هذه الجريمة بهذه الصورة قد اتخذوا كل احتياطاتهم ، وتوقعوا كل شىء .

واذا اقتنعت بانهم توقعوا كل شىء فقد خطر لى ان ازيد فى تعقيد القضية . وهم قد تركوا الجثة فى فندق مودرن ، وما على انا الا ان انقلها فى الحقيبة الخيزران الى حديقة الحيـــوانات ، وعاوننى فى ذلك سائق ســيارة اجرة رضى ـ فيما بيننا ـ ان يلزم الصمت مقابل مائة فرنك ، وهو مبلغ يكاد يكون تافها .

وتكتشف الجثة فى صباح اليوم التالى ، فهل تتخيل دهشة القاتل ، وهل تتصور مبلغ قلقه وذعره .

او ليست هنـــــاك بعض الفرص لكى تتملكه الحيرة فياتى بحماقة ما .

اما انا فيدفعنى الحرص الى ان ابقى مجهولا من البوليس المحلى فانى لا اريد ان يحدس القــاتل اى شىء يـكون من نصيبه فشل خطتى .

كنت انا فى الجيه مولان ، وطبقا لـكل الاحتمالات كان القاتل هناك هو الآخر ، وقد كانت معى قائمة بالموجودين فى البار فى تلك الليلة فاشرع فى الاســتعلام عنهم بادئا بالشــابين اللذين رايتهما منفعلين .

وعدد المجرمين المحتملين ضعيف ... جان شابو ورينيه دلفوس وجينارو واديل وفيكتور .

واذا افترضنا اسوا الأمور فهناك الموسيقيون او الساقى الثانى

المدعو جوزيف ، ولكننى افضل استبعاد الشابين فى بادىء الأمر .

ولكن فى اللحظة التى أحاول ان افرغ فيها منهما تلقى انت القبض على شابو ويهرب دلفوس ، وتعلن الجرائد أن الجريمة ارتكبت فى الجيه مولان .

وزفر ميجريه زفرة طويلة ، وغير وضع ساقيه ثم استطرد يقول :

ـ وقد خيل لى لحظة أننى خدعت ، ولا اشعر بأى خجل فى الاعتراف بذلك ، فان يقين شابو فى ان الجثة كانت فى الكباريه بعد ربع ساعة من اغلاقها ...

قاطعه القوميسير دلفين قائلا :

ـ وهو قد رآها مع ذلك .

ـ عفوا ... انه رأى فى غموض ولمدة ثانية ، على ضوء عود ثقاب متأرجح جسدا ممددا على الأرض .. ودلفوس هو الذى يزعم انه رأى الجثة ... عين مفتوحة والأخرى مقفلة كما يقول ... ولكن لا تنس انهما كانا قد خرجا لتوهما من القبو حيث بقيا فيه مدة طويلة جامدين لا يتحركان وانهما كانا خائفين ، وان هذا أول حادث سطو لهما .

« لقد دبر دلفوس هذا السطو ، وهو الذى جر زميله معه ، وهو الذى كان أول من تولاه الذعر وهو يرى جثة على الأرض .

« شاب عصبى ، معتل الصحة ، فاسد الأخلاق ، او بعبارة أخرى شاب ذو خيال .

« انه لم يلمس الجثة ولم يقترب منها ، ولم يسلط عليها الضوء مرة أخرى ، وهرب الاثنان دون أن يلمسا درج النقود .

« وهذا هو السبب فى اننى نصحتك أن تحاول أن تعرف لماذا جاء جرافوبولوس الى الجيه مولان وماذا فعل فيه قبل أن يتظاهر بالخروج منه .

« اننا لسنا أمام جريمة عاطفية ، ولا جريمة للسرقة ولا جريمة عادية . انها من نفس نوع الجرائم التى لا يستطيع البوليس فى

اغلب الاحيان أن يجلو غوامضها ، لانه يجد نفسه وجها لوجه أمام اناس يتمتعون بذكاء مفرط وبتخطيط محكم .

« وهذا هو السبب الذى عملت من أجله على القاء القبض على ... تعقيد القضية ، والعمل على ان يعتقد المجرمون انهم ابتعدوا عن كل خطر وان التحقيق يتخبط .

« كنت اريد ان يقدموا على اية حماقة ...

لم يدر مسيو دلفين ماذا يقـول ، واستمر يتامل ميجريه فى استياء ، وكانت سحنته من الغرابة بحيث ان هذا الأخير انفجر ضاحكا وقال فى ود مشوب بالخشونة :

ـ ولكن لا تنظـر الى هكذا . صحيح اننى غششت وخاتلت وثم اقل لك كل ما اعرفه على الفور ... او بالحرى اخفيت عنك شيئا .. واعنى به الحقيبة الخيزران ... ولكن هناك نظير ذلك شيئا تعرفه انت ولا اعرفه انا .

ـ وما هو ؟ .

ـ لعله اهم شىء فى الوقت الحالى ، ومن اجله ذكرت لك كل ما سبق . لقد وجدت الحقيبة الخيزران فى حديقة الحيوانات ، ولم يـكن مع جرافوبولوس غير بطاقة واحدة غير مذكور فيهـــا عنوانه ، ومع ذلك ، فقد كنت انت ، بعد ظهر ذلك اليوم ، فى الجيه مولان ،وكنت تعرف ان كلا من شابو ودلفوس قد اختبأ فى الدرج المؤدى الى القبو ، فكيف عرفت ذلك .

ابتسم مسيو دلفين . كان الدور دوره فى الانتصار . وبدلا من ان يتكلم على الفور حشا غليونه فى بطء وكوم الرماد بطرف اصبعه ثم بدا يقول :

ولزم الصمت لحظة اخرى ، بل انه احس بحاجته فى تقليب بعض الأوراق التى فوق مكتبه ، ثم قال اخيرا :

ـ اظن انكم فى باريس ، لكم وسائلكم انتم ايضا ، ولكم مرشدوكم ، ونظريا فان جميع اصحاب الكباريهات يعملون مرشدين لى ، ونظير

ذلك نطبق اعيننا عن بعض المخالفات الصغيرة .

ـ بحيث انه هو جينارو الذى ...

ـ هو نفسه .

ـ اتعنى ان جينارو جاءك يقول ان جرافوبولوس امضى السهرة عنده .

ـ هو ذلك .

ـ وانه هو الذى اكتشف رماد السجائر فى سلم القبو ؟ .

ـ فيكتور هو الذى اكتشف ذلك واطلع جينارو على الامر ، وقدمنى هذا الأخير ان اذهب لكى ارى الرماد بنفسى .

كان ميجريه يزداد تجهما وعبوسا كلما اظهر محدثه شيئا من التفاؤل ، واستطرد القوميسير دلفين يقول :

ـ أرجو ان تعترف معى ان الأمر لم يطل بنا ، فقد القينا القبض على شابو ، ولولا تدخل مسيو دلفوس لما غادر الفلامان السجن حتى الآن ، واذا كانا لم يقتلا ، وهذا لم يثبت بعد ، فقد حاولا على الاقل السطو على البار .

وتأمل محدثه لحظة ، ثم ارتسمت على ملامحه ابتسامة ساخرة :

ـ يبدو ان ذلك يثير قلقك .

ـ اى ان هذا لا يعنى شيئا .

ـ ما الذى لا يعنى شيئا .

ـ تصرف جينارو .

ـ اعترف انه هو الذى كنت تعتبره القاتل .

ـ لا هو ولا غيره . ثم ان تصرفه لا يثبت شيئا ، انما يدل قبل كل شىء على انه رجل ذكى جدا .

ـ اتريد البقاء فى السجن .

راح ميجريه يلعب بعلبة الثقاب التى بين يديه . ولم يسرع بالرد، وعندما تكلم بدا كما لو كان يحدث نفسه فقال :

ـ جاء جرافوبولوس الى ليبج لكى يقتل شخصا او لكى يقتله بعضهم .

ـ هذا شيء غير اكيد .

وفجاة قال ميجريه فى غيظ :

ـ يا لهما من ولدين قذرين ؟ .

ـ من تعنى ؟ .

ـ هذان الغلامان اللذان افسدا كل شيء الا اذا ...

ـ الا اذا ...

ـ لا شيء على الاطلاق .

ونهض وهو يتميز من الغيظ ، وراح يذرع ارض الغرفة جيئة وذهابا ، وكانت قد امتلأت بسحب الدخان المتخلفة من غليونهما معا وجعلت التنفس غير محتمل . وبدأ مسيو دلفين يقول :

ـ لو ان الجثة بقيت فى غرفة الفنـــدق ، ولو اننا قمنـــا بالتحقيقات العادية فربما كنا نستطيع .

رماه ميجريه بنظرة شرسة . والواقـع ان كلا منهمـا كان حاد المزاج ، واحس كل منهما بالاستياء من الآخر نتيجة لذلك . وكانا على استعداد لتبادل العبارات المهينة ، ولم يـكن من المستبعد ان يلقى كل منهما باللوم على الآخر ويحمله مسئولية فشل التحقيق .

ـ هل معك طباق ؟ .

ونطق ميجريه بعبارته هذه كما لو كان يريد ان يقول :

ـ انت غبى .

وأخذ كيس التبغ من يد زميله وحشا غليونه . وصاح دلفين :

ـ ايه ... لا تضعه فى جيبك ، ارجوك .

وكان هذا فصل الخطاب ، فلم يكونا بحاجة الى اكثر من ذلك ، فقد نظر ميجريه الى الكيس الذى فى يده والذى هم بأن يضعه فى جيبه ثم الى محدثه ذى الشارب الأحمر ، وحاول عبثا ان يخفى ابتسامة ثم هز كتفيه .

وابتسم مسيو دلفين هو الآخر ، كان كل منهما يفهم زميله .. ولم يحتفظ كل منهما بتلك النظرة الخشنة الا للشكليات .

وكان البلجيكى اول من سأل فى صوت رقيق يقر فيه بانزعاجه :

ـ ماذا سنفعل ؟ .

ـ كل ما أعرفه هو أن جرافوبولوس قتل ؟ .

ـ فى غرفته بالفندق .

كانت هذه أول نقطة فى الخلاف الذى بينهما . وأجاب ميجريه :

ـ نعم ، فى غرفته بالفندق ، ويحتمل أن يكون جينارو هو الذى قتله أو فيكتور او اديل او الفلامين ، فان أيا منهم لا يملك دليل نفى يدل على انه لم يقتل . كان جينارو وفيكتور يزعمان انهما افترقا فى آخر شارع هوت سوفيتيير وان كلا منهما عاد الى بيته ، وتؤكد اديل أنهـا نامت بمفردها ، فى حين اكل شـابو ودلفوس بطاطس محمرة وسمكا .

ـ بينما كنت انت تدور بالبارات .

ـ وبينما كنت انت نائما .

كانت لهجته اقرب الى المزاح . وقال ميجريه متذمرا :

ـ ان التقرير الوحيـد الذى لدينا هو ان جرافوبولوس ظل حبيسا فى الجيه مولان لـكى يسرق شيئا او لـكى يقتل احدا . وعندما سمع الضجة تظاهر بالموت دون ان يخطر بباله انه سيموت حقا بعد ساعة من ذلك .

وسمع الاثنان عندئذ طرقات سريعة على الباب ولم يلبث ان انفتح ودخل احد المفتشين يقول :

ـ مسيو شابو هنا ويقول انه يريد أن يتحدث اليك اذا كان ذلك لا يزعجك .

تبادل دلفين وميجريه النظر ثم قال الأول :

ـ دعه يدخل .

كان المحاسب شديد التأثر . لم يكن يدرى كيف يمسك قبعته المستديرة . وتردد عندما راى ميجريه فى المكتب ثم قال :

ـ اننى اعتذر .

ـ الديك ما تريد ان تفضى الى به ؟ .

كان مسيو شابو قد اقبل فى وقت غير مناسب . وقت لا تصلح فيه المجاملات :

ـ اعنى ... اننى التمس معذرتك .. اردت ان اشكرك شخصيا لانك ...

ـ هل عاد ابنك الى البيت ؟ .

ـ عاد منذ ساعة . وقد قال لى ...

ـ ماذا قال لك ؟ .

كان الأمر مضحكا وداعيا للرثاء فى نفس الوقت . وحاول مسيو شابو أن يتظـــاهر بالوقار . وكان حسن النية . ولكن الاسئلة الخشنة اثارت حيرته وانزعاجه . وانتهى به الأمر الى نســـيان المحاضرة التى كان قد اعدها وحفظها عن ظهر قلب ، وهى محاضرة هزيلة مؤثرة اخفقت بسبب الجو .

وتمتم يقول متلعثما :

ـ اعنى اننى اردت ان اشكرك لما اظهرته من كرم مع ... والواقع انه ليس فتى شريرا ... ولكن رفقاء السوء وضعف الارادة ... وقد اقسم .. وامه تلازم الفراش ... وقد اقسم لها ... واعدك يا سيدى القوميسير انه بعـد اليوم لن ... لانه برىء ، أليس كذلك ؟ .

وجف حلق المحاسب واختنق صوته ، ولكنه بذل جهدا كبيرا لكى يحتفظ بهدوئه ووقاره .

ـ انه ابنى الوحيد ووددت لو ان ... لعلنى كنت ضعيفا معه اكثر من اللازم ..

ـ كنت ضعيفا معه جدا ... نعم .

فقد مسيو شابو وقاره تماما . وحول ميجريه راسه لانه احس بان هذا الرجل الذى بلغ الأربعين من عمره ، ذا الكتفين الضيقين والشارب الملمع يوشك أن يبكى .

ـ اعدك انه مستقبلا ...

ولم يعد يدرى ما يقول فأخذ يتلعثم :

ـ هل تظن انه يجب أن أكتب لقاضى التحقيق لكى اشكره ؟ .

زمجر مسيو دلفين يقول وهو يدفعه نحو الباب :

ـ هو ذلك . هذه فكرة رائعة .

والتقط القبعة المستديرة التى وقعت على الأرض ووضعها فى يد صاحبها الذى مشى القهقرى طويلا ، ثم قال بعد أن أغلق الباب خلف الرجل المسكين .

ـ لن يخطر لوالد دلفوس أن يشكرنا . صحيح انه يتناول العشاء كل أسبوع مع المحافظ وانه صديق حميم للنائب العام ولكن ... ما علينا ..

وكانت كلمة « ما علينا » الأخيرة تحمل من معانى الملل والتقزز الكثير ، كتلك الحركة التى التقط بها كل الأوراق المبعثرة فوق المكتب ثم عاد يقول للمرة الثانية :

ـ ماذا سنفعل الآن ؟ .

ولا ريب أن أديل كانت فى هذه اللحظة لا تزال نائمة فى غرفتها المفروشة التى تعبق برائحة الرقاد والطبيخ . أما فى الجيه مولان فمما لا شك فيه ان فيكتور وجوزيف كانا يتنقلان فى ذلك الوقت بين المناضد فى كسل وتراخ ، ينظفان الرخام ويمسحان المرايا والمقاعد .

ـ سيدى القوميسير ... مراسل جريدة جازيت دى ليبج الذى وعدته أن ...

ـ دعه ينتظر .

وكان ميجريه قد مضى فجلس فى ركن من الغرفة وهو متجهم الوجه . وقال مسيو دلفين فجأة :

ـ هناك شىء مؤكد وهو أن جرافوبولوس قد مات .

وكان جواب ميجريه ان قال :

ـ هذه فكرة والله ! .

نظر اليه الآخر معتقدا انه يهزا به . ولكن ميجريه استطرد :

ـ نعم . هذا خير ما نستطيع ان نفعل . كم عدد المفتشين هنا الآن .

ـ اثنان أو ثلاثة . لماذا ؟ .

ـ وهو يوصد هذا المكتب بالمفتاح ؟ .

ـ طبعا .

ولم يفهم مسيو دلفين شيئا ، وحملق فى زميله بينما كان هذا الاخير يقول :

ـ حسنا . اعطنى مسدسك . لا تخف ... ساطلق الرصاص ... وستخرج انت بعد ذلك بقليل وتعلن أن الرجل ذا الكتفين العريضين انتحر ، وفى هذا اعتراف اكيد يسمح بحفظ القضية .

ـ هل تريد ؟ ...

ـ حذار ... سأطلق النار ... على الخصوص حاول الا يأتى أحد بعد ذلك لكى يزعجنى . هل أستطيع ان أخرج من هذه النافذة اذا اقتضى الأمر .

ـ ماذا تريد ان تفعل ؟ .

ـ هى فكرة خطرت ببالى ... هل فهمت ؟ .

واطلق ميجريه الرصاص فى الهواء بعد أن جلس فى مقعده موليا ظهره للباب . ولم يخطر له ان ينتزع الفليون من بين شفتيه ، ولكن لم يكن لهذا اية اهمية . واسرع البعض من المكاتب المجاورة ولكن مسيو دلفين اعترض طريقهم وتمتم دون اقتناع : لا شىء هناك ... لقد انتحر القاتل ، وادلى باعترافات » .

وخرج : واغلق الباب بالمفتاح ، بينما كان ميجريه يداعب شعره الأكرد بسرور لا يوصف .

وقال كما لو كان يذكر درسا حفظه عن ظهر قلب :

ـ اديل .. جينارو .. فيكتور .. دلفوس وشابو .

وفي المكتب الكبير كان مراسل الجازيت دى ليبج يدون ملاحظاته :

ـ تقول انه اعترف ؟ .. ولم تستطع التأكد من شخصيته ؟ .. حسنا . هل أستطيع استعمال هذا التليفون ؟ .. هناك الطبعة التى تصدر بعد ساعة .

وقال أحد المفتشين بالباب فى لهجة الانتصار :

ـ ما رأيك الآن .. لقد جاءت الغلايين .. متى تأتى لاختيار ما تريد ؟ .

ـ فيما بعد .

ـ ألم تعرف ؟ .. ان الثمن أقل مما ذكرت لك بفرنكين .

ـ حقا ؟ .

وتمتم يقول بين أسنانه بما ينم عما يشغل باله بالذات :

ـ احدى عصابات المافيا .

الفصل العاشر

رجلان فى الظلام

ـ هل انت متاكد من رجالك ؟ .

ـ لن يخمن احد على كل حال انهم من رجال البوليس ، لسبب وجيه وهو انهم ليسوا من رجال البوليس . اننى كلفت صهرى بمراقبة الجيه مولان ، وهو يقيم فى مدينة سبا ، وقد جاء لقضاء يومين فى ليبج . اما الـذى يراقب اديل فهو موظف فى ادارة الضرائب . والآخرون مندسون فى اماكن لا يراهم احد منها .

كانت الليلة معتدلة الجو ومطر خفيف بلل الأسفلت وجعله يبدو لزجا . وزرر ميجريه معطفه الأسود حتى ياقته ولف عنقه بكوفية اخفت نصف وجهه ، على انه لم يكن يخشى شيئا فقد كان الشارع مظلما ، لم يكن احد يميز منه شيئا فيما عدا اللافتة المضيئة للجيه مولان التى تلمع من بعيد .

اما المفتش دلفين ، ولم تكن الجرائد قد اعلنت موته فلم يكن بحاجة الى مثل هذا الحرص ، بل انه لم يرتد معطفه ، وعندما اخذ المطر يتساقط راح يتذمر فى صوت مسموع .

وكانت الحراسة قد بدات منـذ الساعة الثامنة والنصف ، ولم يكن بار الجيه مولان قد فتح ابوابه بعد ، وقد جاءوا بالتعاقب ، وكان فيكتور اولهم ثم اقبل بعـده جوزيف فصاحب البار نفسه . واضاء هذا الاخير لافتة المحل فى نفس الوقت الذى بدا الموسيقيون يظهرون فيه بدورهم فى اول شارع بون دافروى .

وفى تمام الساعة التاسـعة ارتفعت نغمات الجـاز فى غموض ووقف البواب امام الباب وراح يعد قطع النقود الصغيرة التى فى جيبه .

وبعد بضع دقائق دخل صهر دلفين الى البار ولم يلبث ان دخل فى اثره موظف الضرائب .

وقال القوميسير عندئذ ملخصا الموقف الاستراتيجى .

– وهناك غير هذين الاثنين وغير الشرطيين الواقفين فى الزقاق لمراقبة الباب الخلفى شخص آخر امام بيت اديل بشارع ريجنس ، ورجل امام بيت دلفوس وآخر امام بيت شابو ، ثم هناك مراقبة دقيقة على الفرقة التى كان جرافوبولوس يقيم فيها فى فندق مودرن .

لم ينطق ميجريه بشىء ، فقد كانت الفكرة فكرته . وكانت الجرائد قد نشرت نبأ انتحار قاتل جرافوبولوس ، واوعزت ان التحقيق قد اقفل وان القضية قد اصبحت امرا مفروغا منه . وقال لزميله :

– والآن ، اما ان نفرغ من كل هذا الليلة بالذات واما ان نتخبط فى احاجى الجريمة شهورا طويلة .

وراح يمشى فى بطء وتثاقل طولا وعرضا ، وعرضا وطولا وهو يشد انفاسا متلاحقة من غليونه ، موليا ظهره لزميله ولا يرد على محاولاته فى جر الحديث الا بتذمرات مبهمة .

ولم يكن مسيو دلفين يتمتع بما يتمتع هو به من هدوء ورباطة جأش ، فكان يحس بحاجته الى الحديث لا لشىء الا لقضاء الوقت ... قال :

– من اية ناحية تظن ان الأحداث قد تقع ؟ .

ولكن الآخر اكتفى بأن رماه بنظرة شاردة كما لو انه كان يريد أن يقول : وفيم يفيدك مثل هذا الظن ؟ .

وكانت الساعة قد اشرفت على العاشرة عندما اقبلت اديل ، يتبعها عن كثب رجل لم يكن غير واحد من رجال الأمن . ومر بجوار رئيسه ونطق بكلمة واحدة : لا شىء .

وراح يتمشى فى الشارع جيئة وذهابا ، وكان يظهر من بعيد

شارع بون دافروى الذى تسطع به الانوار بتراموایاته التى تمر كل ثلاث دقائق وبجمهوره الذى ينطلق فى بطء على الرغم من المطر .

كانت هذه هى النزهة العادية لاهالى ليبج . والشارع الكبير مزدحم بالجمهور .. عائلات وفتيات تتابط كل منها ذراع الاخرى وشبان يتفحصون وجوه الحسان ، وبعض الشبان المتانقين يمشون فى خطوات بطيئة وهم متصلبون كما لو كانوا يلبسون ذهبا .

وفى الشوارع الصغيرة الجانبية كانت هناك بارات اخرى بعضها مشبوه كبار الجيه مولان ، واشباح ملتصقة بالجدران ، وفى بعض الاحيان تبرز امراة فى النور وتختفى فى الظلام ، متوقفة فى انتظار الرجل الذى يتبعها .

ويدور بينهما حديث وجيز ثم يمضيان الى فندق تشير اليه احدى اللافتات .

وسال القوميسير دلفين زميله قائلا :

ـ الديك امل حقا ؟ .

واكتفى ميجريه بان هز كتفيه . وكانت نظرته جامدة وجانبية بحيث بدا انه مجرد من كل ذكاء . وقال دلفين :

ـ على كل حال لا اظن ان شابو قد يحلو له الخروج الليلة خاصة وان والدته تلازم الفراش .

ولم يقبل القوميسير دلفين هذا الصمت المستمر . ونظر الى غليونه الجديد ، ولم يكن قد اسود جيدا بعد وقال :

ـ وعلى فكرة ، ارجو ان تذكرنى غدا لكى اعطيك غليونا من الفلاين الجديدة ، وبهذا تعود من ليبج بتذكار .

ودخل بار الجيه مولان زبونا . وقال مسيو دلفين :

ـ ترزى بشارع هورشاتو وصاحب جراج ، وهما من الاشخاص الذين يختلفون عادة الى البار ... عربيدان كما يقال .

ولكن رجلا خرج فى هذه اللحظة ، وكان لابد من النظر اليه باهتمام لمعرفته . لم يكن غير فيكتور ، وكان قد استبدل ثياب العمل

ببدلة ومعطف للخروج . وكان يمشى مسرعا . واسرع احد المفتشين باقتفاء اثره على الفور .

وهمس القوميسير دلفين يقول :

ـ آه ... هذا عجيب .

وتنهد ميجريه فى ارتياح كبير ورمى زميله بنظرة قاتلة ... افلا يمكن للبلجيكى أن يلزم الصمت بضع دقائق حقا ؟ .

وكان ميجريه يدس يديه فى جيبى معطفه . ولم يكن يفوته اقل شىء مما يجرى حوله على الرغم من انه لم يكن يبدو عليه انه يراقب اى شىء .

وكان هـو اول من راى رينيه دلفوس بعنقـه الهزيل وقـامته الصبيانية وهو يظهـر فى اول الشارع مترددا . مغيرا الرصيف مرتين . واندفع اخيرا نحو باب الجيه مولان .

وعاد مسيو دلفين يقول :

ـ هذا عجيب ... عجيب ! .

ـ نعم .

ـ ماذا تعنى ؟ .

ـ لا شىء .

واذا كان ميجريه لم يشأ أن يقول شيئا فقد كان اهتمامه زائدا بحيث فقد شيئا من هدوئه ، وتقدم فى غير حرص ولا حذر لأن ضوء مصباح غازى كان يكشف عن الجزء العلوى من وجهه فى غموض ، ولكن ذلك لم يدم كثيرا لأن دلفوس لم يبق فى البار غير عشر دقائق تقريبا ، وعندما خرج كان يمشى مسرعا ، ومضى دون اى تردد نحو شارع بون دافروى .

وبعد بضع دقائق خرج صهر دلفين بدوره ، وبحث عن شخص بعينيه ، وكان لابد لدلفين من أن يصفر صفيرا خافتا لكى يناديه :

ـ حسنا ؟ .

ـ جلس دلفوس الى مائدة الراقصة .

ـ وبعد ؟ .

ـ ذهب معا الى دورة المياه ثم خرج ، فى حين عادت هى الى مكانها .

ـ أكانت ممسكة بحقيبتها فى يدها ؟ .

ـ نعم . حقيبة صغيرة من المخمل الأسود .

قال ميجريه :

ـ حسنا . هلموا بنا .

ومشى فى خطوات سريعة بحيث وجد زملاؤه مشقة فى اللحاق به .

وتكلم الصهر فقال :

ـ ماذا افعل الآن ؟ .

وجر ميجريه مسيو دلفين معه وهو يقول :

ـ تعود هناك طبعا .

وفى شارع بون دافروى لم يتمكنوا من رؤية الشاب ، وكان قد سبقهم بنحو مائة متر لأن الشارع كان مزدحما بالمارة ، ولكن عندما بلغوا اول شارع ريجنس رأوا شخصا يكاد يجرى بجوار جدران البيوت .

ولم يملك مسيو دلفين الا أن يقول من جديد :

ـ هذا عجيب ... نعم ... هذا عجيب .

وقال ميجريه :

ـ انه ذاهب الى بيتها ، وقد مضى اليها لكى يأخذ منها المفتاح .

ـ وما معنى هذا ؟ .

وكان دلفوس قد دخل البيت واغلق الباب خلفه ، قبل أن يمضى الى الدرج :

ـ ماذا نفعل الآن ؟ .

ـ لحظة واحدة ... أين رجلك ؟ .

وكان الرجل يتقدم فى هذه اللحظة بالذات وهو يتساءل أيتحدث

الى رئيسه أو يتظاهر بانه لا يعرفه . وقال دلفين :

ـ تعال ياجيرار ... ما اخبارك ؟ .

ـ دخل رجل البيت منذ خمس دقائق ، ورايت ضوءا بالغرفة كما لو ان شخصا يتحرك وفى يده مصباح كهربائى .

قال ميجريه :

ـ هلموا بنا .

ـ هل ندخل ؟ .

ـ طبعا .

واصحاب البيوت فى بلجيكا لا يستخدمون البوابين على الاطلاق ، ويكفى لفتح الباب العمومى لأى بيت ان يضغط الساكن على زر بجوار الباب فينفتح على الفور ، وهذا ما فعله ميجريه . وكان السلم مظلما ليست به اية انوار ، ولم يكن هناك اى نور منبعث من مسكن اديل .

ولكن ما ان لمس ميجريه باب المسكن حتى انفتح وسمع صوتا غامضا كما لو ان رجلين كانا يتعاركان داخل داخل الغرفة .

وكان مسيو دلفين قد اخرج مسدسه من جيبه ، وتحسس ميجريه الحائط فى حذر ووجه مفتاح النور على اليسار فاداره .

وما ان سطع النور حتى طالعهم منظر مضحك ومفجع فى نفس انوقت ، فقد كان هناك رجلان يتعاركان وقد فاجاهما النور والضوضاء فى نفس الوقت فتوقفا وهما لا يزالان متماسكين ، وبدت يد احدهما على عنق الآخر ، وكان هناك شعر اشيب مشعث.

وقال مسيو دلفين فى لهجة آمرة :

ـ لا تتحركا ، وارفعا ايديكما .

واغلق الباب خلفه دون ان يتخلى عن مسدسه . وزفر ميجريه فى ارتياح ، ونزع كوفيته من فوق انفه وفتح معطفه ، وابتلع نفسا كبيرا من الهواء كما لوكان يعانى من ضيق شديد وقال :

ـ ارفعا ايديكما ... باسرع من هذا .

ووقع رينيه دلفوس لانه اراد ان يقف ولان ساقه اليمنى كانت تحت ساق فيكتور .

***

نظر مستر دلفين الى ميجريه كمـــا لو كان يطلب منه النصح والمشورة . وكان دلفوس وســـاقى البار واقفين الآن ، شاحبين ، وقد انقلبت سحنة كل منهما وتشوشت ثيابه .

كان الشاب اكثر انفعالا من الساقى واشد منه شحوبا وذهولا . وكان يبدو عليه انه لا يفهم شيئا مما يقع له ، بل انه ينظر الى فيكتور فى دهشة واستغراب كما لو لم يكن يتوقع ان يراه فى هذه الغرفة .

مع من كان يظن انه يتعارك اذن ؟ .

وقال ميجريه اخيرا :

ـ الزما الهدوء يا صاحبى .. هل الباب موصد جيدا ايهـــا القوميسير ؟ .

واقترب من هذا الاخير ، وقال له بضع كلمـــات فى صـــوت خافت ، واشار مسيو دلفين من النافذة الى جيرار ان يصعد ، ثم مضى الى البسطة وقال له :

ـ حاصر الجيه مولان بكل من تستطيع من رجالي ، ولا تدع احدا يخرج منه ، ولكن لا تتعرض لمن يريد ان يدخل .

ثم عاد الى الغرفة حيث الغطاء فوق الفراش يدل على المعركة التى دارت بها .

وكان فيكتور لا يزال واقفا لا يتحرك .. كان يبدو تماما كالساقى الذى يرسمه الرسامون فى صـــورهم الكاريكاتورية ، فقد اصلع الراس فيما عدا بضع شعيرات مشعثة هنا وهناك ، وملامح رخوة وعينين واسعتين مضطربتين .

كان يقف متهدل الكتفين لكى يبدو اقل خطرا من حقيقته وكان من المتعذر تمييز النظرة التى تبدو فى عينيه المنحرفتين .

وخاطبه ميجريه يقول فى يقين :

ـ ليست هذه أول مرة يلقى القبض فيهـــا عليك . اليس كذلك ؟ .

كان متأكدا من قوله . وكان هذا امرا يبدو من اول وهلة . كان الناظر اليه يحس على الفور انه امام رجل يتوقع منذ وقت طويل أن يجد نفسه وجها لوجه مع البوليس ، ومعتاد على مثل هذا النوع من اللقاءات .

ـ لا أفهم ماذا تريد أن تقول . لقد طلبت منى اديل ان آتى لكى ابحث لها عن شيء .

ـ لا شك انه اصبع احمر الشفاة .

ـ وسمعت الضجة ... ودخل احدهم .

ـ وهجمت عليه ، وبمعنى آخر كنت تبحث عن احمر الشفاة فى الظلام . حذار ... ارفع يديك فوق رأسك من فضلك .

رفع كل من الرجلين ذراعين رخوتين نحو السقف . وكانت ذراعا دلفوس ترتعشان . حاول أن يمسح وجهه بكمه من غير أن يجرؤ على خفض ذراعه .

ـ وانت ؟ .. اى شيء طلبت منك اديل ان تبحث لها عنه .

واصطكت اسنان الفتى ولكنه لم يستطع أن ينطق بشيء .

ـ راقبهما جيدا يا دلفين .

ودار ميجريه بالغرفة . وكانت هناك منضدة صغيرة عليها بقايا لحم وفتات خبز وزجاجة من الجعة لم تفرغ كلها بعد . وانحنى ونظر تحت الفراش ثم هز كتفيه وفتح دولابا لم يكن به غير ثياب واغطية واحذية قديمة استهلكت كعوبها .

ورأى عندئذ مقعدا بجوار الدولاب فوقف فوقه ومر بيده فوق سقف الدولاب واعادها بحافظة صغيرة من الجلد .

وقال وهو يهبط الى الأرض :

ـ أهذا هو اصبع الأحمر يا فيكتور ؟ .

ـ لا ادرى ماذا تقصد ان تقول .

ـ اخيرا .. هذا هو الشيء الذى اتيت تبحث عنه .

ـ لم ار هذه الحافظة ابدا .

ـ الويل لك اذن ... وانت يا دلفوس ؟ .

ـ اننى .. اننى اقسم ...

ونسى المسدس المصوب اليه وارتمى فوق الفراش ، وانفجر يبكى بكاء متشنجا .

ـ اذن فانت لا تريد ان تقول شيئا ايها العزيز فيكتور ، ولا حتى لماذا كنت تتعارك مع هذا الشاب .

والقى ميجريه الطبق القدر والزجاجة على الارض ووضع مكانهما الحافظة فوق المنضدة وفتحها .

ـ هذه اوراق لا تعنينا يا دلفين .. يجب ان نسلمها لمكتب مكافحة الجاسوسية ... آه ... هذه هى تصميمات مدفع رشاش جديد صممها مصنع هرستال ... اما هذه فانها تشبه رسوم بناء قلعة ... آه ... وخطابات بالشفرة يتعين علينا ان نعرضها على بعض الاخصائيين لدراستها .

وكانت بقايا نار لا تزال تتأجج فى المدفأة . وفجأة ، ودون ان يتوقع احد اسرع فيكتور الى المنضدة وامسك بالأوراق . ولكن لا ريب ان ميجريه كان يتوقع منه مثل هذا العمل ، فبينما كان القوميسير دلفين مترددا فى اطلاق النار طوح هو بقبضته فى وجه الشاب بكل قواه فترنح هذا الاخير ولم يجد متسعا من الوقت لالقاء الأوراق فى النار .

وتناثرت الأوراق فوق الأرض . وامسك فيكتور بيديه الاثنتين صدغه الذى احمر فجأة .

وكان عملا سريعا ، ومع ذلك فقد اوشك دلفوس ان ينتهز الفرصة ويهرب ، ففى لمح البصر غادر الفراش وهم بان يمر من خلف مسيو

دلفين ، ولكن هذا الأخير لم يلبث أن رآه فمنعه من الهرب بان دس قدمه بين ساقيه .

وقال ميجريه :

ـ والآن ؟ .

أجاب فيكتور وهو يتميز من الغضب :

ـ مهما يكن فلن اقول شيئا .

ـ انا لم اقتل جرافوبولوس .

ـ وبعد ؟ .

ـ انت متوحش ... ولن اتكلم الا فى حضور محامى .

ـ آه .. آه .. هل اوقفت لك محاميا كذلك ؟ .

أما القوميسير دلفين فكان يراقب الفلام ، وتابع وجهة نظره فرآه ينظر خلسة فوق الدولاب فقال :

ـ اظن انه لا يزال هناك شيء .

وأجابه ميجريه وهو يصعد من جديد فوق المقعد :

ـ هذا جائز .

وتحسس بيده سقف الدولاب فترة طويلة ، وعادت اخيرا وبها حافظة من الجلد الازرق فتحها ثم قال :

ـ حافظة نقود جرافوبولوس ... ثلاثون ورقة من فئة الالف فرنك ، من النقد الفرنسى .. واوراق .. آه .. هذا عنوان على قصاصة من الورق .. الجيه مولان بشارع بودور ... وبخط آخر هذه العبارة : لا احد يبيت فى المكان .

لم يعد ميجريه يهتم باحد ، بل كان يتابع فكرته ، ويفحص خطابا مكتوبا بالشفرة ويحصى بعض المعلومات .

ـ واحد .. اثنان .. ثلاثة .. تسعة .. عشرة . كلمة من عشرة حروف اى جرافوبولوس .

وقع اقدام على الدرج ودقات عصبية على الباب ... وجه المفتش جيرار وهو بادى الانفعال :

ـ حوصر الجيه مولان ... ولن يخرج منه أحد ولكن ...

« أقبل مسيو دلفوس منذ لحظات وطلب ابنه ... واخذ اديل على حدة .. ثم غادر البار .. وحسبت اننى افعل خيرا اذ تركته ينصرف ولكننى تبعته .. وعندما رايته انه قادم هنا سبقته واتيت ... ها هو ، انه يصعد الدرج .

والواقع ان شخصا تعثر ومشى فى البسطة وهو يتحسس الأبواب ثم طرق الباب اخيرا .

وفتح له ميجريه بنفسه ، وانحنى امام الرجل ذى الشـــارب الذى خطه المشيب . ونظر الرجل اليه فى ترفع ثم قال :

ـ هل ابنى موجود ؟ .

ووقعت عيناه عليه ، وكان الفتى فى حالة يرثى لها ، فقرقع أصابعه وقال فى لهجة آمرة :

ـ هيا ، الى البيت .

ونظر الجميع اليه مشـــدوهين . أما رينيه فقد راح يحدق فى الآخرين فى ذعر وتشبث بغطاء الفراش واسنانه تصطك فى صوت مسموع . وتدخل ميجريه فقال :

ـ لحظة واحدة . هل لك ان تجلس يا مسيو دلفوس ؟ .

فحص هذا الأخير المكان فى تقزز وقال :

ـ اتريد ان تتحدث الى ، ولكن من انت ؟ .

ـ لا أهمية لهذا . سوف يقول لك القوميسير من انا فى الوقت المناسب ... عندما عاد ابنك الى البيت ، هل عنفته ؟ .

ـ حبسته فى غرفته قائلا له ان ينتظر قرارى .

ـ وما هو هذا القرار ؟ .

ـ لا ادرى بعد . ربمـــا ارسلته الى الخارج ليتمرن فى احد المصارف او فى شركة تجارية .

لقد حان الوقت لكى يعرك الحياة .

ـ كلا يا مسيد دلفوس .

ـ ماذا تعنى ؟ .

ـ لا اعنى الا ان الوقت قد فات ، فان ابنك قتل جرافوبولوس فى مساء يوم الأربعاء لكى يسرقه .

اوقف ميجريه العصا ذات القبضة الذهبية التى اوشكت ان تهوى فوق راسه ، وبقبضة قوية ادارها بحيث اضطر صاحبها ان يتركها من يده وهو يئن من الالم . وعندئذ فحصها ميجريه فى هدوء وراح يزنها فى يده ثم اوقعها ارضا وهو يقول :

ـ واكاد اكون واثقا ان الجريمة ارتكبت بهذه العصا .

فتح رينيه فمه فى حركة تشنجية محاولا ان يصرخ ، ولكن لم يصدر منه اى صوت . لم يكن الآن الا كتلة من الأعصاب ، يكاد الذعر يحطمه وتدعو حالته الى الرثاء حقا .

وعلى الرغم من ان الأمر كان ظاهرا وفى غير حاجة الى اى ايضاح فقد قال مسيو دلفوس :

ـ ارجو ان توضح ما تقول . اما انت ايها القوميسير فارجو ان تفهم اننى انقل لصديقى النائب العام ...

تحول ميجريه الى المفتش جيرار وقال له :

ـ اذهب وجئنى باديل ... اركب عربة ... احضر جينارو هو الآخر معك .

وبدأ مسيو دلفين يقول وهو يدنو من ميجريه :

ـ اظن ان ...

ولكن القوميسير قاطعه قائلا كما لو كان يهدىء طفلا :

ـ نعم ، نعم .

واخذ يمشى جيئة وذهابا طوال الدقائق السبع التى كان لابد منها لتنفيذ تعليماته . ولم يلبث ان تناهى اليهم صوت محرك ووقع اقدام على السلم ، وصوت جينارو وهو يحتج قائلا :

ـ سارفع امركم الى قنصل بلادى .. هذا عجيب ... تاجر شريف يلقى هذه المعاملة ، والمكان يغص بالرواد .

وعندما دخل بحثت عيناه عن فيكتور ، وبدا كأنه يسأله . وكان هذا الأخير رائعا اذ قال في بساطة :

ـ لقد افتضح أمرنا .

أما الراقصة فقد راحت تتأمل مسكنها وهي تكاد تكون نصف عارية تحت ثوبها الذي يكشف عن مفاتنها ، واكتفت بأن هزت كتفيها راضية بما يأتيها به القدر .

***

ـ أجيبي عن سؤالي فحسب . هل طلب منك جرافوبولوس أثناء جلوسك معه في تلك الليلة أن توافيه في حجرته بالفندق ؟ .

ـ اذن فقد طلب منك ذلك . قال لك اذن انه يقيم في فندق مودرن في الغرفة رقم ١٨ .

أطرقت برأسها بالايجاب .

ـ وكان شابو ودلفوس جالسين الى مائدة قريبة . في أية ساعة جاء دلفوس هنا .

ـ كنت نائمة ... ربما كانت الساعة الخامسة صباحا .

ـ وماذا قال ؟ .

ـ عرض علي أن أرحل معه . كان يريد أن نستقل الباخرة الى أمريكا . قال لي انه ثري .

ـ وهل رفضت ؟ .

ـ كنت نائمة .. قلت له أن ينام ، ولكن لم يكن هذا ما يريده هو ... وعندئذ سألت وأنا أرى مبلغ انفعاله اذا كان قد ارتكب شيئا ما .

ـ وبماذا أجابك ؟ .

ـ توسل الى أن أدعه يخفي حافظة في غرفتي .

ـ وأشرت اليه الى الدولاب ، حيث كانت فوقه حافظة أخرى بها أوراق .

هزت كتفيها مرة أخرى وتنهدت قائلة :

– تبا لهم !.

– أهذه هى الحافظة ؟ .

ولم تجب . ورمى مسيو دلفوس الحضور بنظرة تحد وقال :

– أود أن أعرف ...

– سوف تعرف على الفور يا مسيو دلفوس ... لا أطلب منك الا أن تصبر لحظة واحدة .

وكان ذلك لكى يحشو غليونه .

الفصل الحادى عشر

المبتدىء

ـ فلنتكم أولا عن باريس ، وعن جرافوبُولوس الذى لجأ الى البوليس لـكى يحميه والذى حاول فى اليوم التالى أن يتخلص من المفتش الذى عهدت اليه بحراسته ، هل تذكرت ما قلته لك يادلفين ؟.

« أعنى قصص المافيا والتجسس .. حسنا .. اننا ازاء عملية تجسس ، وجرافوبولوس ثرى وعاطل وتستهويه المغامرة كمـــا تستهوى الكثيرين من نوعه .

« وفى خلال رحلاته يلتقى بأحد العملاء السريين ويطلعه على رغبته فى أن يشترك بدوره فى دنيا المغامرة والغموض .

« عميل سرى .. كلمتان عجيبتان طالما حملتا الكثيرين من الأغبياء الى عالم الأحلام .

« فهو يتصور ان المهنة سهلة ، ولـــكن ما المهم ؟ .. يتمسك جرافوبولوس بفكرته ، والعمل الذى يعرفه لا حق له فى اقصاء عرض يمكن أن يكون هاما .

« ولكن الشىء الذى لا يدريه الجمهور هو ان هناك تجارب لابد من تخطيها أولا ... والرجل ذكى وثرى وكثير الترحال ... ولكن يجب قبل كل شىء التأكد من شجاعته ورباطة جاشه وتكتمه .

« ويعهدون اليه بمهمة أولا ... وهى أن يمضى الى ليبج ويسرق المستندات من أحد الكباريهات .

« فهذه هى الطريقة التى يمكنهم بها التأكد من حقيقة اعصابه

فالمهمة كاذبة ، وهم يرسلونه بكل بساطة الى عملاء آخرين بنفس المنظمة ... عملاء سوف يحكمون على قوة اعصابه واحتماله .

« ويتملك جرافوبولوس عندئذ ، ذلك انه كان يرى الجاسوسية تحت صورة اخرى ... كان يرى نفسه فى القصور والحفلات يستجوب السفراء او يتصل باحد المدعوين فى بلاط اوروبا.

« ولا يجرؤ على الرفض ولكنه يطلب حماية البوليس ، ويخطر رئيسه بأن هناك من يتبعه كظله .

« احد مفتشى البوليس يتعقبنى ، واظن اننى ، فى هذه الحالة لا يجب ان امضى الى ليبج .

— بل امض اليها رغم ذلك .

« ويتملكه الخوف والذعر ، ويحاول الافلات من المراقبة التى تسبب فيها بنفسه ، فيحجز مكانا فى الطائرة المقلعة الى لندن ، ويبتاع تذكرة الى برلين ويمضى الى محطة جيلمان .

« والجيه مولان هو المكان الذى يتعين عليه ان يعمل فيه ، وهو لا يعلم ان صاحب البار من نفس العصابة وان المنظمة اخبرته بأمر وان المسألة كلها لا تعدو ان يكون اختبارا وانه ليس فوق ذلك اى مستند يتعرض للسرقة من الكباريه .

« وتجلس راقصة الى مائدته .. ويتواعد معها على قضاء الليلة فى غرفته ، فهو قبل كل شىء رجل ملذات ، وكما يحدث دائما فى مثل هذه الظروف ينعش الخطر حساسيته ... فهو لن يكون وحده اخيرا ... ويترك لها ، تحت الحساب ، علبة سجائره ، وكانت قد ابدت اعجابها بها .

« وهو يراقب الموجودين ... ولا يعرف شيئا .. او بعبارة اصح لا يعرف غير شىء واحد وهو انه يتعين عليه ان يتصرف لكى يبقى فى المكان بعد اغلاقه للبحث عن المستندات المطلوبة منه .

« وكان جينارو على علم بأمره ، فراح يراقبه وهو يبتسم ...

وفيكتور هو الآخر من المنظمة ، فراح يجامله ويقدم له الشمبانيا ساخرا منه فى قرارة نفسه .

« ويسمع أحدهم صدفة عنوان الفندق وهو يذكره لاديل .

« فندق مودرن ، الغرفة رقم ١٨ » .

وقال ميجريه وهو ينظر الى مسيو دلفوس ، واليه وحده :

ـ ويجب أن ننتقل الآن الى قصة اخرى ، والتمس المعذرة اذا تكلم عنك فأنت ثرى ولك زوجة وابن وعشيقات ، وتقضى حياة كلها لهو ومرح دون ان تشك ان الفلام المعتل الصحة والمضطرب الأعصاب ، يحاول فى دنياه الصغيرة ان يقلدك .

فهو يرى النقود تصرف حوله دون حساب ، وتعطيه انت الكثير منها ولكنه على الرغم من وفرتها لا تكفيه فى نفس الوقت .

وهو منذ سنوات يسرقك ، بل ويسرق خاله فوق ذلك .

وهو يأخذ سيارتك وينطلق بها أثناء غيابك ، وله هو الآخر عشيقات ، صفوة القول انه ابن الذوات الفاسد بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .

كلا ، لا تحتج ، وانتظر .

انه بحاجة الى صديق يبثه ذات نفسه ومكنون قلبه ، وهو يجر شابو معه .. وذات يوم يعانيان من ضيق ذات اليد .. وتطاردهما الديون فى كل مكان ، ويستقر بهما العزم على سرقة حصيلة البار .

وكان ذلك فى الليلة التى اقبل فيها جرافوبولوس .. ويختبئان فى الدرج المؤدى الى القبو فى حين يحسبهما الآخرون قد انصرفا . ولكن هل يعلم جينارو بأمرهما ؟ .. اننى اشك فى ذلك ولكن لا اهمية لهذا ... انه على كل حال نموذج العميل السرى الماهر ، وهو يدير كباريها ويدفع نقدا كما قال منذ لحظات وله عملاء يعملون من اجله . ويحس بالأمان الى حد انه يعمل مرشدا للبوليس .

انه يعرف ان جرافوبولوس سيقضى الليل فى البـــار فيغلق الأبواب ويمضى مع فيكتور ، فيكفيه ان يرسل تقريرا الى رؤسائه فى صباح اليوم التالى عن الطريقة التى سيتصرف بها جرافوبولوس

ترون جيدا ان الأمر معقد بما فيه الكفاية ... وفى مقدورنا ان نطلق على هذه الليلة ليلة المخدوعين .

شرب جرافوبولوس شمبانيا لـكى يتزود بالشجاعة ... ها هو وحده فى الظلام فى الجيه مولان .. ولم يبق عليه الا البحث عن المستندات المطلوبة منه .

ولكنه لا يكاد يتحرك حتى يسمع بابا يفتح وعود ثقاب يشعل .

ويرى أعداءه عنـدئذ ... غلامان يتملكهما الخوف أكثـر منه ويبادران بالفرار .

ولا يتحرك أحد ، ويبـــدو ان أحدا لا يتنفس . كانت الوجوه متوترة . واستطرد ميجريه يقول فى هدوء :

« وبقى جرافوبولوس وحده ، ويصر على أن يبحث عن المستندات التى طلبها منه رؤساؤه ... اما شابو ودلفوس فقد اخذهما الهلع واكلا بطاطس محمرة وسمكا ثم افترقا فى الشارع .

« ولـكن ذكرى تلح على دلفوس ... فندق مودرن ، الغرفة رقم ١٨ ... وهى نفس الكلمات التى سمعها . والرجل الغريب يبدو ثريا ... وهو نفسه بحاجة ماسة الى النقود ... ودخول الفندق ليلا امر سهل ... فلا ريب ان المفتاح معلق فى اللوحة ... وما دام جرافوبولوس قد مات .. وما دام لن يضع قدمه فى غرفته بعد الآن ...

ويمضى الى الفندق ، وكان البواب نائما فلم يره .. ويسرع الى الغرفة ويفتش حقيبة الميت .

خطوات فى الطرقة ، ثم يفتح الباب .

وجرافوبولوس نفسه ... جرافوبولوس الذى يجب ان يكون ميتا ...

ويشعر دلفوس بالخوف الى حد انه يضرب دون تفكير . يضرب بكل قواه ، فى الظلام ، بعصاه ... عصا ابيه ذات المقبض الذهبى . وكان قد اخذها معه فى تلك الليلة كما يفعل دائما عندما يكون ابوه مسافرا ... كان الذعر يتملكه ويكاد يكون غير مسئول ... وياخذ الحافظة ويهرب .

ولعله وقف تحت مصباح غازى لكى يتاكد مما فى الحافظة . ويرى فيها عشرات من أوراق النقد الفرنسية من فئة الالف فرنك . ويخطر بباله على الفور أن يرحل مع أديل . وكان يشتهيها دائما . الحياة العريضة فى الخارج ... الحياة العريضة مع امراة .. كرجل حقيقى ... كأبيه .

ولكن أديل نائمة ... ثم انها لا تريد الرحيل ، فيخفى الحافظة فى مسكنها لأنه يخاف . ولا شك ان جينارو وفيكتور يضمان فى نفس المكان منذ شهور ـ بل ربما منذ سنوات ـ مستندات التجسس .

لأنها هى الأخرى منهم ... هم جميعا من المنظمة .

ولم يحتفظ دلفوس الا بأوراق النقد البلجيكية وهى نحو الفى فرنك وجدها فى الحافظة ... اما الباقى ، واعنى به النقود الفرنسية فهى مورطة الى حد كبير .

وفى صباح اليوم التالى يقرأ الجرائد ... لم يكتشف القتيل ... فريسته هو التى قتلها فى الفندق ... وانما فى حديقة الحيوانات .

وهو لا يفهم شيئا ، ويعيش فى الحى ... ويمضى الى شابو ، ويجره معه .. ويتظاهر بأنه يسرق خاله لكى يبرر وجود الالفى فرنك معه .

ولكن يجب ان يتخلص من هذه النقود ... ويكلف شابو بذلك ، فهو جبان .. بل اكثر من جبان .. وهو مريض .. وفى قرارة نفسه يحقد على زميله لأنه لا يقاسمه ذنبه ولهذا يريد ان يورطه

دون أن يجرؤ على أن يفعلَ شيئا محددا لذلكَ .

الم يحقد عليه دائما ... كان يشعر من نحوه بحسد وحقد فيهما ما يكفى من العقد ، فشابو نظيف او على الأقل كان كذلك ... اما هو فتستبد به عدة احتياجات مقلقة ... وهذا هو تفسير هـذه الصداقة العجيبة وحاجة دلفوس الدائمة الى وجود صديقه معه .

مضى يبحث عنه فى بيته ، فهـــو لم يستطع البقاء فى بيته بمفرده ، واشركه فى خططه وسرقاته الصغيرة العـائلية التى لن تدينه العدالة بها .

ولا يعود شابو من دورة المياه ، فقد القى البوليس القبض عليه . ولا يمضى لكى يبحث عنه وانمـا يشرب ... وهو بحاجة الى أن يشاركه البعض الشراب ، فهناك شيء لا يستطيع احتماله ... وهو الوحدة ... وفى الصباح الباكر يفزع من موقفه ، ولا ريب انه يرى المفتش الواقف فى الشارع .

وهو لا يجرؤ على أن يمس نقود جرافوبولوس التى فوق الدولاب ... فلم يبق فى الحـافظة الا النقـود الفرنسية وهى نقود من السهل التحقق منها ، ويفضل أن يسرق صديقته .

ما الذى يرجوه ؟ .. لا شيء .. وكلَ ما يفعله بعد ذلك سيكون نتيجة لمنطق الأمور .

فهو يخمن فى شيء من الغموض انه لن يفلت من العدالة ، وهو من ناحية أخرى لا يجرؤ على أن يسلم نفسه .

سلوا القوميسير دلفين أين يبحث عن المجـــرمين الذين على شاكلته ، وأين يجدهم تسع مرات من عشر .

فى اماكن السوء .. فلابد له من الشراب ومن الصخب ومن النساء .

يدخل احد البارات بجوار المحطـــة ... ويريد أن ترافقه الجرسونة الى احدى الغرف ، وعندما ترفض يخرج الى الشارع ويأتى معه بفتاة .. ويقدم الشراب للجميع ، ويخرج نقوده فيراها

الجميع ويوزعها عليهم ... ويتملكه الهياج .

وعندما يلقى البوليس القبض عليه يكذب ، ولكنه لا يحسن الكذب ... فهو يكذب دون اى أمل ... يكذب لمجرد الكذب ، كبعض الاطفال الفاسدين .

وهو مستعد لأن يقول اى شيء ، وان يذكر اية تفصيلات ، فهو الى جانب هذا كله لا خلاق له .

ولكن يقال ان البوليس القى القبض على القاتل ... وان القاتل هو انا .. ويطلقون سراحه ويعلم بعد قليل انه انتحر بعد ان ادلى باعترافات ..

هل يخمن الفخ المنصوب ؟ نعم فى شيء من الغموض .. ولكن شيئا على كل حال يدفعه الى اعدام الأدلة التى تدينه .. ولهذا قمت بهذه المهزلة التى قد تبدو لكم صبيانية .

كانت هناك وسيلتان لدفع دلفوس الى الاعتراف ... الوسيلة التى استخدمتها الآن او ان نتركه بمفرده ساعات باكملها ... وحده فى الظلام الذى يخاف منه خوفه من الوحدة .

كان سيتملكه القلق والاضطراب فيعترف بكل ما نريد منه ... وحتى باكثر من الحقيقة .

اما انا فاعرف انه هو القاتل منذ ان ثبت ان الالفى فرنك لم تسرق من محل الشيكولاته .. ايدت كل اعماله وحركاته منذ ذلك الوقت رايى هذا .

جريمة قتل عادية على الرغم من غموضها وتعقيداتها الظاهرة .

ولكن كان لا يزال هناك شيء استعصى على فهمه ، واعنى به الحالة الاخرى ... حالة جرافوبولوس ، وطبقا لذلك فان هناك مجرمين غيرهم ايضا .

« وقد اخرجهم موت القاتل المزعوم ... موتى انا ... من اوكارهم جميعا .

« فقد اتى دلفوس يبحث عن حافظته المورطة .

« وها هو فيكتور ياتى بدوره .

ودار ميجريه بعينيه فى الغرفة فى بطء .

« منذ متى وجينارو يستخدم مسكنك لاخفاء هذه المستندات الخطيرة ؟ .

هزت اديل كتفيها فى غير اكتراث ، كامراة تتوقع منذ وقت طويل كارثة :

ـ منذ سنوات .. هو الذى جاء بى من باريس ، حيث كنت اموت من الجوع .

ـ هل تعترف يا جينارو ؟ .

ـ لن ارد الا فى حضور محامى .

ـ انت ايضا ؟ .. كفيكتور .

ولم يقل مسيو دلفوس شيئا وظل مطرقا براسه ... وعيناه محدقتان فى عصاه ... العصا التى قتلت جرافوبولوس .

وتمتم يقول فجاة :

ـ ان ابنى ليس مسئولا ...

ـ اعرف ذلك .

ونظر مسيو دلفوس الى ميجريه وهو بادى الاضطراب والانزعاج فى نفس الوقت وساله قائلا :

ـ من الذى قال لك ذلك ؟ .

ـ يكفينى ان تنظر الى راسك وراسه فى المرآة .

***

وكان هذا كل شىء . ومر على ذلك ثلاثة شهور . وكان ميجريه فى بيته بشارع ريشار لنوار يفض الرسائل التى جاءه بها البواب .

وسألته زوجته وهى تنفض السجادة فى الشرفة :

ـ اهى رسائل هامة ؟ .

ـ بطاقة من اختك تقول فيها انها تنتظر مولودا .

ـ تانى ! .

ـ ورسالة من بلجيكا .

ـ وماذا فيها ؟ .

ـ لا شىء مهم . انها من صديق ... من مسيو دلفين يقول انه يرسل الى طردا بالبريد يحتوى على غليون ويبلغنى فيه ببعض الاحكام التى صدرت .

وقرأ فى صوت مسموع :

« وقد حكم على جينارو بخمس سنوات اشغال شاقة وعلى فيكتور بثلاث سنوات . أما الفتـــاة اديل فلم يثبت عليهـا شىء وأطلق سراحها » .

وقالت مدام ميجريه التى احتفظت ببساطتها وسذاجتها كفتـاة ريفية على الرغم من انها اصبحت زوجة القوميسير بادارة الامن العـام .

ـ ولكن من هؤلاء الناس ؟ .

ـ اشخاص غير مهمين ... صاحب كباريه فى ليبج ... كباريه كان يفتقر الى الزبائن وان كان مقرا للجواسيس .

ـ والفتاة اديل ؟ .

ـ راقصة بالكباريه المذكور ... كغيرها من الراقصات .

ـ وهل عرفتها ؟ .

وكان فى صوت مدام ميجريه شىء من الغيرة فجأة :

ـ ذهبت الى مسكنها مرة .

ـ آه ... اهو كذلك ؟ .

ـ ها انت تتكلمين الآن تماما كما تكلم مسيو دلفين نفسه ... ذهبت اليها ومعى نحو نصف دستة من الرجال .

ـ اهى جميلة ؟ .

ـ لا بأس بها ... وقد افتتن بها بعض الشباب .

ـ بعض الشباب فحسب ؟ .

وكان ميجريه قد فض رسالة اخرى تحمل طابع بريد بلجيكى فقال :

ـ وها هى بالذات صورة واحد منهم .

وناولها صورة شاب ضيق الكتفين ، تبدو كتفاه أكثر ضيقا فى البذلة العسكرية ، وقد التقطت له الصورة ، وهو واقف على ظهر احدى المراكب .

« واسمح لى أن ارسل لك صورة ابنى الذى غادر انفرس هذا الأسبوع على ظهر الباخرة اليزابيث فيل فى طريقها الى الكونغو ، وارجو أن يساعده جو المستعمرات الخشن فى ... » .

ـ ومن هو ؟ .

ـ أحد اثنين من عشاقها الفتيان .

ـ وهل فعل شيئا ؟

ـ شرب اقداحا من النبيذ فى كباريه فى ليلة كان خيرا له لو انه لم يضع فيها قدميه على الاطلاق .

ـ وهل كان عشيقها ؟ .

ـ ابدا ... كل ما هنالك انه نظر اليهـــا ذات مرة بينما كانت ترتدى ثيابها .

واختتمت مدام ميجريه الحديث قائلة :

ـ ان الرجال كلهم سواء .

***

ونحت كومة من الرسائل كانت هناك بطاقة يحيط بهـا السواد لم يظهرها ميجريه .

« مات اليوم فى مستشفى سانت روزالى رينيه جوزيف آرثر دلفوس وهو فى الثامنة عشرة من عمره » .

ومستشفى سانت روزالى هو الذى يعالج فيه المرضى بعقولهم من اثرياء القوم .

وجاء فى أسفل النعى هذه الكلمات الثلاث .

« صلوا من أجله » .

وتخيل ميجـريه مسيو دلفـوس الأب مع زوجتـه ومصنعه وعشيقاته .

ثم جرافوبولوس الذى اراد ان يشتغل بالجـاسوسية لانه كان يشكو من البطـالة ولا عملَ له ، ولأنه كان يتوهم ان الجـواسيس مدهشين كما يقرأ عنهم فى الروايات .

وبعد ثمانية أيام ، فى احد بارات مونمارتر ابتسمت له امراة كانت تجلس الى مائدة وأمامها كأس فارغ وضعته الادارة امامهـا للشكليات .

وكانت هذه المراة هى أديل الراقصة .

وقالت له :

ـ اقسم لك اننى لم أكن اعرف ما كانوا يعرفون ... ولكن على المرء ان يعيش ، أليس كذلك ؟ .

وكانت على استعداد طبعا لأن تعيد الكرة من جديد .

وقالت :

ـ جاءتنى صورة من الصغير .. انت تعرف من أعنى .. ذلك الذى كان موظفا فى مكان ما .

وفتحت حقيبتها اليدوية واخرجت منها صورة ، طبق الاصل من التى استلمها ميجريه ، وكانت لشاب يجعله الزى العسكرى الذى يرتديه يبدو اكثر نحافة مما هو فعلا ويلبس فى فخر لاول مرة فى حياته خوذة المستعمر .

وهى نفس الصورة التى عرضتها مدام شابو لجاراتها فى الحى الذى تقيم فيه ، وللطالبة البولندية ولمسيو بوجدانوفسكى .

وكانت تقول :

ـ انه يبدو الآن كرجل ناضج ، اليس كذلك ؟ ارجو ان يتغلب على الحميات ...

وشبان آخرون يختلفون الى الجيه مولان الذى انتقلت ملكيته الى مالك جديد .

« تمت »

روايات الهلال تقدم فى العدد القادم :

هـــاربة من الجحيم

بقلم : ليام اوفلارتى

ترجمة : محمود مسعود

تصدر فى ١٥ مايو ١٩٨٠

الثمن ٢٠ قرشا

روايات الهلال تقدم قريبا :

الليـــالى البيضـــاء

بقلم الـكاتب العالمى
فيدور ديستويفسكى

ترجمة الدكتور
نظمى لوقا

تصدر فى ١٥ يونية ١٩٨٠

الثمن ٢٠ قرشا

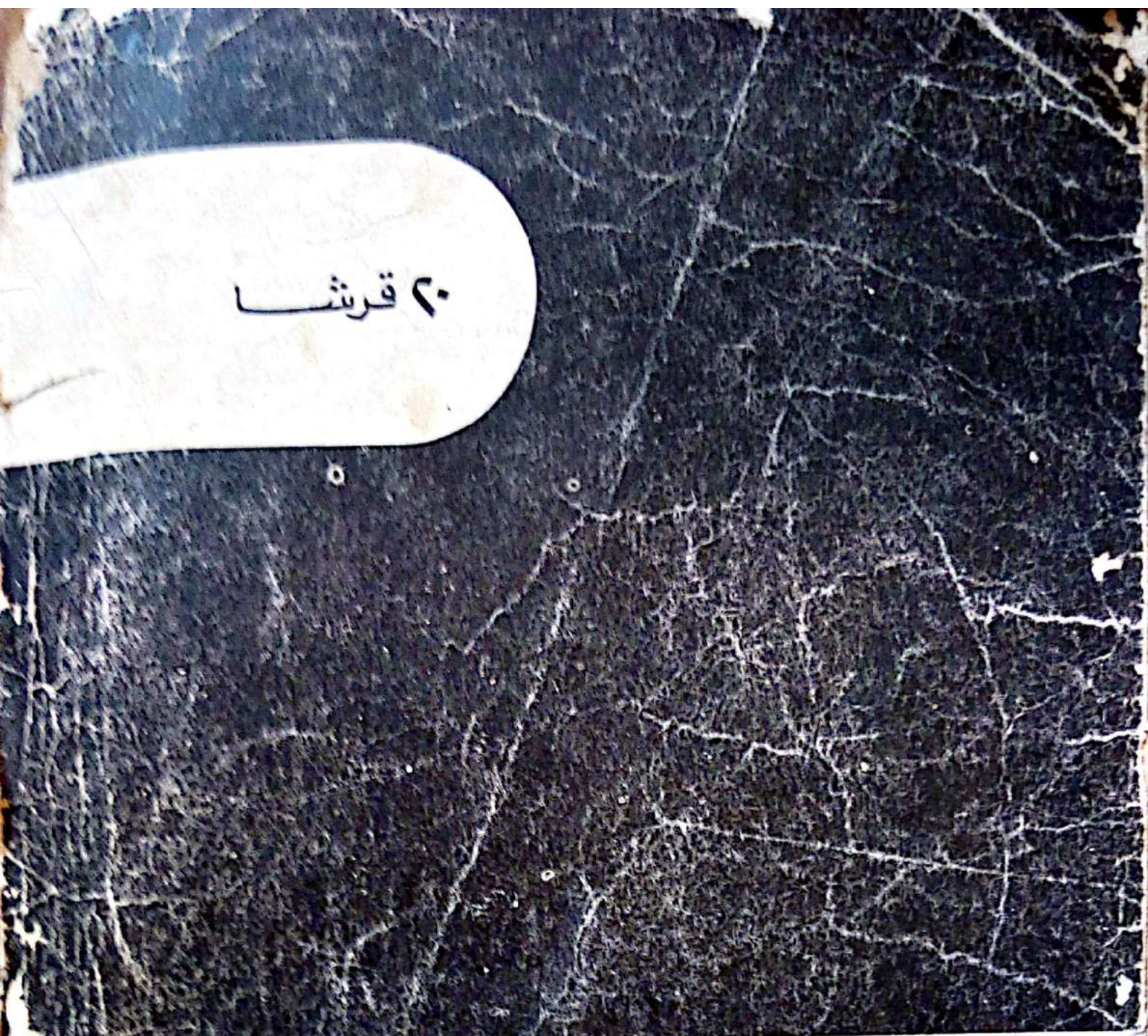

٢٠ قرشا

هذه الرواية

تدور هذه الرواية حول شابين مراهقين ، احدهما ابن احد اصحاب الاعمال الاثرياء والثانى موظف بسيط ارتضى حياة اللهو والمجون ، تراكمت عليهما الديون بحيث فكرا فى سرقة خزانة النقود بالملهى الليلى الذى يختلفان اليه . ويختفيان فيه ليلا ولكن ما ان يغلق الملهى ابوابه ويهمان بتنفيذ مشروعهما حتى يفاجئان بجثة قتيل فيتملكهما الذعر ويبادران بالفرار .

وفى اليوم التالى تسير الامور عادية فى الملهى وتاخذهما الدهشة عندما تصدر جرائد المساء وفيها نبأ العثور على نفس الجثة محشورة فى حقيبة بحديقة الحيوانات . ثم تتوالى الاحداث. جريمة عجيبة استعصت على رجال البوليس البلجيكى وبرع سيمنون فى تصوير وقائعها .